تعقبات الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) على الإمام الزمخشري(٥٣٨هـ) من خلال سورة آل عمران

عرض ودراسة وتعليق

إعداد الدكتور

محمد فراج طه علي

عضو مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية

بمشيخة الأزهر

تعقبات الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) على الإمام الزمخشري(٥٣٨هـ) من خلال سورة آل عمران عرض ودراسة وتعليق

محمد فراج طه علي

قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: altndy@gmail.com

ملخص البحث

تعقب الإمام الشوكاني-رحمه الله- في كتابه «فتح القدير» آراء بعض من سبقه من المفسرين، وكان ممن تعقبهم الإمام الزمخشري-رحمه الله- في تفسيره «الكشاف». وفي هذا البحث قمت بتتبع تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري -رحمهما الله- في سورة آل عمران، وذلك من خلال استخراجها من مظانها، ودراستها؛ لأبين أي الرأيين أقرب لتوضيح المراد.

وكان الهدف من البحث معرفة فقه الخلاف الذي يفتح باب الحوار الهادئ بين المتأخرين والمتقدمين، وهذا يجعل انتقاد الأكابر يكون بالأدب الجم، وينبئ عن مدى الوعي الكامل، والاعتراف بالسبق في ميدان تفسير القرآن.

ومن أهداف البحث أيضًا أن الكتابة في مثل هذه الموضوعات تصقل الباحث من الناحية العلمية، حيث إنه يدرس الرأي والرأي الآخر، ويقارن بينهما، ويرجح ما يراه راجحًا بالدليل، فهذا يصقله ويقويه علميًّا.

والمنهج المتبع في البحث هو المنهج التحليلي، والنقدي؛ حيث قمت بجمع تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري الواردة في سورة آل عمران، وعنونتُ لها بعنوان يناسبها، وذكرت الراجح فيها بالدليل، وقد أثبتُّ في البحث الآيات القرآنية، وجعلت الآية بين معكوفين ﴿﴾ وذكرت اسم السورة ورقمها، ورقم الآية في الهامش، كما خرجتُ الأحاديث النبوية والآثار، مكتفيًا بذكرِ أشهرِ من أوردها من أئمةِ الحديثِ، مع ذكرِ الكتابِ، والبابِ، والجزءِ، والصفحةِ، ورقمِ الحديثِ، وعزوتُ الأبيات الشعرية إلى مصادرها ونسبتها إلى قائليها، ووضحتُ الألفاظ الغريبة والمصطلحات؛ بالرجوع إلى

المعاجم اللغوية، وترجمتُ الأعلام الوارد ذكرهم- عدا الصحابة- لأول مرة؛ ترجمة مختصرة تزيل اللبس عنهم، وتدعو القارئ إلى الاقتداء بهم، وإلى نشر مآثرهم، وذيلتُ البحث بفهرسَين؛ فهرس للمصادر والمراجع، ملتزمًا في ترتيبِه حروفَ المعجمِ، وفهرس الموضوعاتِ؛ على حسبِ ترتيبِها في البحثِ.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج العلمي دون أي تجريح، وكانت غايتي هي معالجة الأقوال دون التفات إلى شخصية قائلها، وقد خلصت في بحثي إلى أن الإمام الشوكاني قد أصاب في بعض تعقباته على الإمام الزمخشري، وجانبه الصواب في البعض الآخر.

الكلمات المفتاحية: التعقبات- الإمام الشوكاني- الإمام الزمخشري- التفسير التحليلي- سورة آل عمران. دراسة، تعليق.

Imam Shawkani's (1250 A.H.) Tracking of Imam Al- Zamakhashari (538 A.H.) Through Surat *'The Family of Imran'*; an Exposition, Study and Commentary

By: Mohammed Farrag Taha Ali
Department of Osoul El- deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

In his book "*Fat'h Al- Kadeer*), Imam Shawkani – May Allah have mercy on him- traced the views of former interpreters; Imam Zamakhashari (May Allah have mercy on him) was one of those interpreters whom he traced in his interpretation entitled (Al- Kasha'f). Hence, the topic of this paper is about Imam Shawkani's tracking of Imam Al- Zamakhashari in Surat *Al- Imran* (The Family of Imran) by handling and studying it as void of its hypotheses in order to show which one of the two viewpoints is closer to the true meaning. The main objective of this paper is to recognize the jurisprudence of difference which paves the way for peaceful dialogue in between the formers and the followers; something that makes the criticism of the elders run in a very polite manner as well as foreshadowing a full awareness and recognition of precedence in the field of interpreting the Holy Qur'an. Another objective of this paper is that writing about such topics adds so much to the researcher in terms of the scientific perspective as he studies certain views and their counter views, compares them, gives preponderance- based upon evidence- to any of them. Such attitude would for sure enrich the researcher and give him scientific merit. The paper applies the analytical and critical approaches as the researcher has collected the comments of Imam Al- Shawkani on Imam Al- zamakhashari with regard to Surat Al- Rahman. The researcher has selected a suitable title for the comments, and he has made reference to the most preponderant ones; based on evidence. He also quoted Qur'anic verses in between inverted commas referring to the chapters, their numbers and the numbers of the verses as seen in the margins. Likewise, he has authenticated prophetic traditions and their aftermath. To mention a few, the researcher is satisfied with making reference to the most well-known Imams of Hadith whose Hadiths have been quoted referring to the

book. Chapters, section, page number and number of Hadith. In addition, he has related the lines of poetry to their sources and their authors. Moreover, he has clarified the bizarre utterances and terms by looking them up in the dictionaries and the stated biographies except the companions of Prophet Muhammad peace be upon him. The research has concluded with two indexes; one for the sources and references and the other for topics according to their appearance in the research. The research has applied the scientific approach without any discreditation. The main objective as stated by the researcher has been to tackle the statements regardless of their author. In conclusion, the researcher has found out that Imam Al- Shawkani was true in some of his comments whereas in others he was not.

Key words: Imam Shawkani, Imam Zamakhashari, interpretation, analytical interpretation, *Al- Imran* (The Family of Imran), study, comment

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، لم تُشْبهه عجمة، ولم يُكَدِّره لبس، عجز بلغاء العرب وفصحاؤُهم عن الإتيان بمثله، سره في يسره، وإعجازه في وفائه، فأذعن البلغاء لبلاغته، وركن الحكماء إلى حكمته، وأدهشت علماء التشريع أحكامه؛ ولذا فقد أقبل عليه المفسرون-رضوان الله عليهم- شرحًا وتفصيلًا وتوضيحًا لمراده، وكان من بينهم عَلَمَان كبيران الإمام الزمخشري، والإمام الشوكاني —رحمهما الله تعالى- فقد كان الشوكاني -رحمه الله- كثير النقل من الإمام الزمخشري-رحمه الله- فتارة يقبل قوله ويرتضيه، وتارة يتعقبه، ويعلق عليه، فقمت بجمع تعقبات الإمام الشوكاني-رحمه الله- على الإمام الزمخشري-رحمه الله- ، فوازنت بين قول الإمامين، ورجَّحْت ما ظهر لي بالدليل فجاء الموضوع بعنوان: **" تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري من خلال سورة آل عمران-عرض ودراسة وتعليق"**.

أسباب اختيار الموضوع والهدف منه :

أولاً : معرفة ما أصاب فيه الإمام الشوكاني -رحمه الله- وما أصاب فيه الإمام الزمخشري -رحمه الله-، والوقوف على أقوالهما بالتهذيب والتحرير.

ثانيًا : معرفة مكانة الإمامين العلمية، وأنهما من كبار المفسرين الذين يمثلون مدرستين كبيرتين من مدارس التفسير -مدرسة التفسير بالمأثور، ومدرسة التفسير بالرأي-.

ثالثًا : معرفة فقه الخلاف الذي يفتح باب الحوار الهادئ بين المتأخرين والمتقدمين، وهذا يجعل انتقاد الأكابر يكون بالأدب الجم، وهذا ينبئ عن مدى الوعي الكامل، والاعتراف بالسبق في ميدان تفسير القرآن وهذا ما أشاد به الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-.

رابعًا : الكتابة في مثل هذه الموضوعات يصقل الباحث من الناحية العلمية، حيث إنه يدرس الرأي والرأي الآخر، ويقارن بينهما ويرجح ما يراه راجحًا بالدليل، فهذا يصقله ويقويه علميًّا.

منهج البحث:

وقد اعتمدت في هذه الدراسة، على المنهج التحليلي [١]، والنقدي [٢]، وكانت خطوات تنفيذ الموضوع على النحو التالي:

أولاً: قمت بجمع تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري الواردة في سورة آل عمران، وعنونت لها بعنوان يناسبها، وذكرت الراجح فيها بالدليل.

ثانيًا: أثبتُّ الآيات القرآنية، وجعلت الآية بين معكوفين ﴿﴾ وذكرت اسم السورة ورقمها، ورقم الآية في الهامش.

ثالثًا: تخريجُ الأحاديثِ النبويةِ والآثارِ، بذكرِ أشهرِ من أوردها من أئمةِ الحديثِ، مع ذكرِ الكتابِ، والبابِ، والجزءِ، والصفحةِ، ورقمِ الحديثِ.

رابعًا: عزو الأبيات الشعرية إلى مصادرها ونسبتها إلى قائليها.

خامسًا: توضيح الألفاظ الغريبة والمصطلحات بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

سادسًا: ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم- عدا الصحابة- لأول مرة ترجمة مختصرة تزيل اللبس عنهم، وتدعو القارئ إلى الاقتداء بهم، وإلى نشر مآثرهم.

سابعًا: تذييلُ البحثِ بفهرسَين فهرس للمصادر والمراجع، ملتزمًا في ترتيبِه حروفَ المعجمِ وفهرسِ الموضوعاتِ فعلى حسبِ ترتيبِها في البحثِ.

---

(١) المنهج التحليلي هو: المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، ويعد هذا المنهج ملائمًا للعلوم الشرعية بشكل كبير. ينظر: المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث ١/ ١٤٢.

(٢) المنهج النقدي هو: مجمل الإجراءات والعمليات الذهنية التي يقوم بها الناقد لإظهار حقيقة الأشياء والظواهر التي يدرسها. ينظر: أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي ١/ ٧، لصدام حامد الطبعة الأولى عام ٢٠١٥م، ٢٠١٦م، دون ذكر دار النشر.

خطة البحث:

وقد سرت في هذا البحث على: مقدمة وتمهيد وفصلين، وخاتمة وفهارس عامة.

المقدمة وفيها: سبب اختيار الموضوع – منهج البحث – خطة البحث.

التمهيد: وذكرت فيه تعريف التعقبات لغة واصطلاحًا.

الفصل الأول: التعريف بالإمامين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الشوكاني وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه، وحياته.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الربع: أقوال العلماء فيه، ووفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الزمخشري، وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ومولده.

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الخامس: مؤلفاته، ووفاته.

الفصل الثاني: تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري في سورة آل عمران، ويشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المراد بالحروف المقطعة.

المبحث الثاني: الخلاف في إعراب قوله: ﴿قَائِمًا﴾.

المبحث الثالث: الخلاف في اشتقاق «المسيح» و«عيسى».

المبحث الرابع: الخلاف الوارد في المقصود بالوفاة في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾

المبحث الخامس: المقصود من الابتهال في قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾.

المبحث السادس: الخلاف الوارد في «ما» في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾.

المبحث السابع: الخلاف الوارد في إعراب قوله ﴿مَقَامُ﴾.

المبحث الثامن: الاختلاف في الاحتجاج بقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾

الخاتمة: وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من خلال هذا البحث من نتائج، وقد ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس عام للموضوعات .

وبعد فأسأل الله –عز وجل– التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن يكون شاهدًا لنا يوم القيامة، اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

وفيه تعريف التعقبات لغةً، واصطلاحًا.

التعقبات في لغةً:

عند النظر في المادة اللغوية لمادة «عَقِبَ» يلا حظ أنها غنية ثرية بالدلالات، والمعاني؛ لذا أطلقت في اللغة على معانٍ عدة منها:

أولاً: التعليق على الكلام ببيان العيوب والمحاسن، يقال: "عقب على قوله:" أي: "بين ما فيه من عيوب أو محاسن، وعلق عليه، فإما أن ينقضه، أو يرد عليه، أو يؤيده[١]".

فالتعقيب يأتي بمعنى ذكر المحاسن والعيوب، بالنقض، أو الرد، أو التأييد، وشأن المتعقب أن يذكر المحاسن، فيؤيده عليها، أو ينقض العيوب الموجودة عند من تعقبه.

ثانيًا: آخِر الشيء؛ قال الجوهري: عاقبة كلِّ شيء: آخِرُه، وقولهم: ليست لفلانٍ عاقبةٌ؛ أي: وَلَد[٢]، فالعقب هو ما يكون آخر الشيء، أو بعده، وكلام المعقب عادة يأتي بعد كلام المتعقب عليه.

ثالثًا: التناوب والتتابُع والتلاحق: يقال : "تعاقب الشيئين" أي: خلف أحدهما الآخر، وفي الحديث: «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم» [٣] " وتعاقب القوم في الشيء، أو الأمر: تناوبوه، وعلى الشيء تعاونوا عليه، وتعاقب الليل والنهار: جاء أحدهما بعد الآخر، وتعاقبت الانتصارات: أي: تتابعت، وتلاحقت وتوالت وتعاقبت الفصول: تتابعت بانتظام[٤]، فالتعقيب يأتي بعد الشيء، وقد يكون الغرض منه التعاون على الوصول إلى الصواب، واللحاق به، فالتناول والتتابع من معاني التعقيب.

---

(١)ينظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٦١٥، وتاج العروس للزبيدي ٣/ ٤١٩ مادة عقب.

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١/ ١٨٤.

(٣)جزء من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر حديث رقم(٥٣٠)، ومسلم ، كتاب الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما حديث رقم (١٣٧٦).

(٤) ينظر: لسان العرب (١/ ٦١٥).

قال الجوهري[١]: والعُقْبَةُ: النوبة؛ تقول: تمَّت عُقبتُك، وهما يتعاقبان كالليل والنهار، وعاقَبْتُ الرجل في الرِّحلة، إذا ركبتَ أنت مرَّةً، وركب هو مرَّة[٢]؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾[٣].

رابعًا: الإبطال: يُقَال: «عَقَّب» الحاكِم على حُكْمِ مَن قَبلَه؛ إذا حَكَمَ بعد حُكْمِه بغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾[٤] ؛ أيْ: لا أحَدَ يتَعَقَّب حُكْمَه بنقضٍ ولا تغيير[٥].

تعريف التعقبات في الاصطلاح :

من خلال ما تقدَّم وغيره، يمكنني أنْ أقول: إنَّ السياق العلميَّ لمصطلح "تعقبات" لا ينفك عن معناها اللغويِّ، فهي بذلك تعني: تتبُّع عالِم متأخِّرٍ لعالِم متقدِّمٍ بالتعليق على ما كَتَبَه تصويبًا، أو تخطئةً، أو تذييلًا، أو تذنيبًا، أو تهذيبًا، وإنْ كان الشائع في استعمالها، والغالب في استخدامها أنها تُطلق على نقد ما كتبه الغير وبيان وجه الصواب[٦].

(١) إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري مصنف «الصحاح»، وكان يُضرب به المثل في حفظ اللغة، وحسن الكتابة، وكان يؤثر الغُرْبة على الوطن، دخل بلاد ربيعة ومضـــر في طلب الأدب، ثم بعد ذلك عاود خراســـان، قيل: إنَّه اختلط في آخر عمره. توفي سنة: ٣٩٣هـــ. ينظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي ٦/ ١٥١ – ١٦٥، و«تاريخ الإسلام» ٨/ ٧٤٢، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٨٤.

(٢) ينظر: لسان العرب ١/ ١٨٤.

(٣) سورة الرعد ١٣ الآية : ١١.

(٤) السورة السابقة ١٣ الآية ٤١.

(٥)ينظر: مختار الصحاح ١/ ٢١٤.

(٦)يراجع مقال: التعقبات العلمية: دلالاتها – آفاقها – آثارها –

الفصل الأول: التعريف بالإمامين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الشوكاني -رحمه الله-

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ومولده.

هو: محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، وهو خيرة العلماء المجتهدين المؤلفين، وهو مفسّر، محدث، فقيه، أصوليّ، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم.

أما الشوكاني: فهو نسبة إلى عدني شوكان، أو إلى هجرة شوكان(١)، وهي قرية صغيرة جنوب شوكان، تبعد عن صنعاء شرقًا نحو عشرين كيلو متر تقريبًا، وهجرة وشوكان اسمان لقرية واحدة، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وهي نسبة والده، وكان والده قاضي صنعاء، ومن العلماء البارزين فيها، فيه طيبة وصلاح تجعل من يعرفه حق المعرفة يتيقن أنه من أولياء الله، ولعل هذا كان له أثره في حياة ابنه بعد ذلك.

أما مولده حَسْبَمَا وجد بِخَط وَالِده فِي وسط نَهَار يَوْم الِاثْنَيْنِ الثَّامِن وَالْعِشْرين من شهر الْقعدَة سنة (١١٧٣ هـ) ثَلَاث وَسبعين وَمِائَة وَألف(٢).

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.

كتب الشوكاني لنفسه ترجمة في كتابه «البدر الطالع» أسوة بغيره من المحدثين، والعلماء، وهذا

---

(١) هجرة شوكان: هجرة وشوكان، اسمان لقرية واحدة باليمن من ناحية ذمار، وشوكان بليدة من ناحية خابران بين سرخس وأبيورد. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٣٧٣ .

(٢) تنظر ترجمته في : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١/ ١٠٧١، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/ ٢١٥ ، ومعجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ٢/ ٣٧٩ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨ ، ومعجم الشعراء العرب ١/ ٥٥٦، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ٣/ ٢٢٨٩ ، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ١/ ٤٣٦ ، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ٢/ ٥٩٣ ، وذيل كشف الظنون ١/ ١١، ٥٩١، وهدية العارفين ٢/ ٣٦٥، ومعجم المؤلفين ١١/ ٥٣.

ملخصٌ لما كتبه: فعن بداية طلبه للعلم يقول الشوكاني رحمه الله تعالى: «إني لما أردت الشروع في طلب العلم، ولم أكن إذ ذاك قد عرفت شيئًا فيه حتى ما يتعلق بالطهارة والصلاة إلا مجرد ما يتلقاه الصغير من تعليم الكبير لكيفية الصلاة والطهارة ونحوها».

نشأ الإمام الشوكاني -رحمه الله- بصنعاء، فقرأ القرآن الكريم وجوَّده على جماعة من مشايخ القراء بصنعاء، وفي أثناء ذلك كان قد حفظ عدة مختصرات في الفقه والنحو، والعروض، وآداب البحث وعلوم اللغة، وطالعَ عدة كتب من كتب التاريخ والأدب، ثم شرع في طلب العلم فدرس على والده، وعلى البارزين من العماء في عصره في مختلف العلوم: الدينية، واللسانية، والعقلية، والرياضية، والفلكية[1].

وهكذا ظل العلامة محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني-رحمه الله- يأخذ عن شيوخه العلم حتى استوفى كل ما عندهم من كتب، بل زاد في قراءاته الخاصة على ما ليس عندهم، وكان طلبه للعلم في صنعاء نفسها، يقول الشوكاني-رحمه الله- عن نفسه: «وكانت قراءتي لما تقدم ذكره في (صنعاء) ولم أرحل لأعذار منها: عدم الإذن من الأبوين» وقد درس جميع ما تقدم ذكره، وأخذه عنه الطلبة، وتكرر أخذهم عنه في كل يوم من تلك الكتب، وكثيرًا ما كان يقرأ على مشايخه، فإذا فرغ من كتاب قراءة أخذه عنه تلامذته، بل ربما اجتمعوا على الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب على شيخه، وكان يبلغ دروسه في اليوم والليلة إلى نحو ثلاثة عشر درسًا، منها ما يأخذه من مشايخه، ومنها ما يأخذه عنه تلامذته، واستمرّ على ذلك مدّة حتى لم يبق عند أحد من شيوخه ما لم يكن من جملة ما قد قرأه.

ثم يقول الشوكاني -رحمه الله تعالى- عن نفسه: ثم إن صاحب الترجمة جلس لإفادة الطلبة فقط، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس، في فنون متعددة، واجتمع منها في بعض الأوقات: التفسير، والحديث، والأصول، والنحو، والصرف، والبيان، والمعاني والمنطق، والفقه، والجدل، والعروض[2].

(١) ينظر: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ٢/ ٣٧٩.

(٢) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/ ٢١٥.

المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

مكانته العلمية:

حاز الإمام الشوكاني -رحمه الله- قصب السبق بين أقرانه وعلماء زمانه، فقد جلس للإفتاء وهو في نحو العشرين من عمره، وكانت ترد عليه الفتاوى من خارج صنعاء، وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكاد الإفتاء يدور عليه وحده، وهو في هذه السن، كما ساعدته ثقافته الواسعة وتأصيله العلمي، وذكاؤه الخارق، إلى جانب إتقانه لعلوم شتى، على الاتجاه نحو الاجتهاد ، وخلْعِ ربقة التقليد، وهو دون الثلاثين، وكان قبل ذلك على المذهب الزيدي، فصار علمًا من أعلام المجتهدين وأكبر داعية إلى ترك التقليد، وأخذ الأحكام اجتهادًا من الكتاب والسنة، فهو بذلك يعد طليعة المجددين والمجتهدين في العصر الحديث، ومن الذين شاركوا في إيقاظ الأمة الإسلامية في هذا العصر[١].

ثناء العلماء عليه:

قال عنه بعض تلامذته[٢]: له مصنفات تدلك على قوة الساعد وسعة الاطلاع، ورزق السعادة في تصانيفه مع القضاء، وتناقلها من يلوذ به وذكروها في دروسهم، وله رغبة ومحبة في العلم، وما رأيت أنشط منه في التدريس، ولقد منح رب العالمين سبحانه من بحر فضل كرمه الواسع هذا القاضي الإمام بثلاثة أمور، لا أعلم أنها في هذا الزمان الأخير جمعت لغيره: سعة التبحر في العلوم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها، وسعة التلاميذ المحققين والنبلاء المدققين أولي الأفهام الخارقة ... وسعة التصانيف المحررة والرسائل والجوابات المحبرة التي تسامي في كثرتها الجهابذة الفحول[٣].

وقال عنه صاحب كتاب التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: «له المؤلفات الجليلة الممتعة المفيدة النافعة في أغلب العلوم، منها: نيل الأوطار ، لم تكتحل عين الزمان بمثله في التحقيق،

---

(١) ينظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة للدكتور عبد الله نومْسُوك ص١١٨ بتصرف.

(٢)لطف الله بن أحمد جحاف ولد وتوفي في صنعاء، اتصل بالمتوكل أحمد بن المنصور، وأساء إلى بعض من أحسنوا إليه، ولما ولي المهدي بن المتوكل، اتصل به مدة، ثم سجنه، فتشفع له العلامة الشوكاني فأطلق. (توفي سنة ١٢٤٣هـ) ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ٩/ ٩٧.

(٣)ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ٩/ ٩٧.

ولم يسمح الدهر بنحوه في التدقيق، أعطى المسائل حقها في كل بحث على طريق الإنصاف، وعدم التقيد بالتقليد، ومذهب الأخلاف والأسلاف، وتناقله عنه مشايخه الكرام، فمن دونهم من الأعلام، وطار في الآفاق في زمان حياته، وقرىء عليه مرارًا، وانتفع به العلماء»[1].

وقال عنه صاحب كتاب معجم المؤلفين «محمد بن علي الشوكاني مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم . نشأ بصنعاء، وولي القضاء، وتوفي بصنعاء في جمادى الآخرة، ودفن بخزيمة، من تصانيفه الكثيرة: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»[2].

المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه.

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى الحركة العلمية التي شهدتها البيئة التي نشأ فيها الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى– شهدت هذه البيئة حركة فكرية واسعة، شملت العلوم الإسلامية واللغوية، فكانت هذه الحركة الفكرية له الأثر البالغ في تكوين شخصية الإمام الشوكاني– رحمه الله– ؛ لذا نجد أن شيوخه قد تنوعت مشاربهم في فنون العلوم المختلفة، مما أدى ذلك إلى صقل الإمام الشوكاني رحمه الله–ومن أبرز شيوخه العلامة أحمد بن عامر الحدائي (١١٩٧هـ)، السيد العلامة إسماعيل بن الحسن المهدي بن أحمد ابن الإمام القاسم بن محمد(١٢٠٦هـ)، السيد الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني (ت ١٢٠٧هـ)، العلامة القاسم بن يحيى الخولاني (ت١٢٠٩ هـ). والده علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢١١ هـ)، السيد عبد الرحمن بن قاسم المداني (ت١٢١١هـ)، العلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي (ت١٢٢٨ هـ)..

---

(١)بو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (توفي سنة ١٣٠٧هـ) ينظر: التاج المكلل ص٤٥٥.

(٢) هو: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (توفي سنة ١٤٠٨هـــ)ينظر: معجم المؤلفين، ١١/ ٥٣.

تلامذة الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-:

جمع الإمام الشوكاني من العلوم الكثير، وأحاط بالمعقول منها والمنقول، وبرز في شتى المعارف، وأضاف إليها الكثير، بالنظر الثاقب، والفكر المستنير، وألف العديد من الكتب، لذلك كان لا بد وأن يتخَّرج على يديه الكثيرون واستفاد منه العامة والخاصة، ومن أشهر تلاميذه أحمد ابن عبد الله العمري الضمدي (ت ١٢١٢ هـ)، السيد أحمد بن علي بن محسن بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (ت ١٢٢٢ هـ)، القاضي أحمد بن محمد الشوكاني (ت ١٢٨١ هـ) وهو ابن الإمام الشوكاني، أحمد بن ناصر الكبسي (ت ١٢٧١ هـ)، أحمد بن حسين الوزان الصنعاني (ت ١٢٣٨ هـ)، أحمد بن زيد الكبسي الصنعاني (ت ١٢٧١ هـ).

المطلب الخامس: مؤلفاته، ووفاته.

نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار [١]، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع[٢]، و الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة[٣]، و فتح القدير [٤]، و إرشاد الفحول - ط [٥]،السيل الجرار [٦]، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات[٧]، تحفة الذاكرين [٨] و التحف في

(١) مطبوع، بمكتبة دار الحديث، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢)مطبوع بدار المعرفة – بيروت ولم يذكر سنة طبع.

(٣)مطبوع بتحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ولم يذكر سنة طبع.

(٤)مطبوع الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

(٥)مطبوع بتحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٦) مطبوع الناشر: دار ابن حزم الطبعة: الطبعة الأولى ولم تذكر سنة الطبع.

(٧)مطبوع بتحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٨)مطبوع الناشر: دار القلم - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

مذهب السلف، [١] وغير ذلك[٢].

وفاته:

وفاة الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-: توفي الإمام الشوكاني -رحمه الله- تعالى ليلة الأربعاء ٢٧من جمادى الآخرة سنة(١٢٥٠هـ) بصنعاء، وصُلي عليه بالجامع الكبير بصنعاء -رحمه الله تعالى- ودُفن بمقبرة خزيمة المشهورة بصنعاء، -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.

(١) مطبوع بتعليق: محمد صبحي حسن حلاق الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الزمخشري-رحمه الله تعالى-

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه، وحياته:

هو محمود بن عمر بن محمَّد بن أحمد، أبو القاسم، جار الله، الزمخشري، ولد يوم الأربعاء في السابع والعشرين من رجب سنة (٤٦٧ هـ) في قرية تُدعى «زَمَخْشَرَ» من قُرى «خوارزم»، ومن هنا نسبته الزمخشريّ، أمّا «جار الله» فلقب لقَّب نفسه به؛ لأنّه جاور بمكة زمنًا، فصار هذا اللقب علمًا عليه، وأمّا "فخر خوارزم" فلقب آخر لقّبه الناسُ به بعد أن قصدوه للانتفاع بعلمه(١).

نشأ الزمخشريّ بـ«زَمَخْشَرَ» ودرس بها، ثمّ رحل إلى بخارى لطلب العلم ثم إلى خراسان، ثم أقام بمكة، وبعد إقامته مدة بمكة، اشتاق إلى وطنه، فعاد إليه، لكنّه سرعان ما حنّ إلى مكة، فعاد إليها، وبعد مكّة عاد إلى وطنه ثانية، معرجًا على بغداد (سنة ٥٣٣ هـ)، وبقي في خوارزم إلى أن أتته المنيّة-رحمه الله تعالى-(٢).

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ الزمخشريّ-رحمه الله- على علماء عصره، ولعلّ أعظمهم أثرًا في نفسه أبو مضر محمود بن

---

(١) تنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام ١/ ٤٨٦ – ٤٩٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١ – ١٥٦، شذرات الذهب ٤/ ١١٨ – ١٢١، الكامل في التاريخ ١١/ ٩٧، كشف الظنون ١/ ١١٧، ١٦٤، وفيات الأعيان ٥/ ١٧٣ إنباه الرواة ٣/ ٢٦٥، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٩، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٦، وشذرات الذهب ٤/ ١٢١، ، إنباه الرواة ٣/ ٢٦٥ – ٢٧٢، إيضاح المكنون ١/ ٦٧؛ ٢/ ٨٦، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٥، بغية الوعاة٢/ ٢٧٩ – ٢٨٠.الأعلام ٧/ ١٧٨.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ١٤/ ٨٦، إنباه الرواة ٣/ ٣٦٨، وفيات الأعيان ٥/ ١٧٣ - ١٧٤؛ وبغية الوعاة ٢/ ٢٨٠؛ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٩؛ وشذرات الذهب ٤/ ١٢١.

جرير الضبّيّ الأصفهاني[١]، وأبوعلي الحسن بن المظفر النيسابوري[٢].

وسمع الحديث من أبي الخطاب بن البطر[٣]، وقرأ على أبي منصور بن الجواليقي بعض كتب اللغة من فواتحها مستجيزًا لها[٤] وغيرهم الكثير.

تلامذته:

تتلمذ على الزمخشريّ كثيرون، وما دخل بلدًا إلّا واجتمعوا عليه وتتلمذوا له، واستفادوا منه، وكان علّامة الأدب، ونسّابة العرب، تُضرب إليه أكباد الإبل، وتحطّ بفنائه رحال الرجال، وتُحدى باسمه مطايا الآمال [٥]، ومن تلامذته: أبو الفضل الخوارزمي الآدمي الملقب زين المشايخ[٦] وعلي بن عيسى بن

(١)محمود بن جرير الضبي الأصبهاني أبو مضر النحوي: كان يلقب فريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علما كثيرًا وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو توفي سنة ٥٠٧هـ. ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٧٩، ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٨؛ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٧؛ وشذرات الذهب ٤/ ١١٩.

(٢) أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري أديب نبيل شاعر مصنف ذكره أبو أحمد محمود بن أرسلان في تاريخ خوارزم فقال مات أبو علي الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع من شهر رمضان (سنة ٤٤٢هـ) وأثنى عليه ثناء طويلا زعم فيه أنه كان مؤدب أهل خوارزم في عصره ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشار إليه منهم وهو شيخ أبى القاسم الزمخشري. ينظر: بغية الوعاة ١/ ٢٣٠ – معجم الأدباء ٣ / ٢١٨.

(٣) هو: الشيخ المقرئ الفاضل، مسند العراق أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر البغدادي البزاز القارئ قال السمعاني: عمر حتى صارت إليه الرحلة من الأطراف، وتكاثر عليه الطلبة ، وكان صالحا صدوقا ، صحيح السماع، توفي سنة ٤٩٤ هـ سنة وعمره ست وتسعون سنة. ينظر: تاريخ الإسلام ١/ ٤٨٨، وشذرات الذهب ٤/ ١١٨.

(٤)أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخَضِر الجُواليقي البغدادي، أديب ولغوي، ولد الجواليقي ونشأ في بغداد، وتلقى العلم صغيرًا عن مشاهير شيوخ بغداد وكثير من علماء عصره الأعلام، منهم شيخ بغداد في عصره، أبو القاسم البُسْري (ت٤٧٤هـ) توفي الجواليقي في بغداد سنة(٥٤٠هـ)، ودفن بباب حرب بعد أن صلى عليه قاضي القضاة الزينبي بجامع القصر. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨-، إنباه الرواة ٣/ ٢٧٠.

(٥)ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٦٦.

(٦) أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي الملقب زين المشايخ، النحوي الأديب: كان إماما في الأدب، وحجة في لسان

حمزة بن وهاس [١]، وأبو الطاهر أحمد بن محمَّد السلفي [٢]

المطلب الثالث: مؤلفاته.

ألّف الزمخشريّ-رحمه الله- في العلوم الدينيّة ورجالها، واللغة، والنحو، والعروض، والأدب، وفيما يلي قائمة بأهم مؤلفاته:

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل[٣] – الأجناس[٤]- أساس البلاغة[٥]- الأسماء[٦]- أطواق الذهب أو النصائح الصغار، وهو مئة مقالة في المواعظ والنصائح

العرب، أخذ اللغة وعلم الإعراب عن أبي القاسم الزمخشري، له من التصانيف: مفتاح التنزيل. وتقويم اللسان في النحو، والإعجاب في الإعراب، والبداية في المعاني والبيان، وكتاب منازل العرب. وشرح أسماء الله الحسنى، وغير ذلك، توفي سنة ٥٦٢هـ. ينظر: معجم الأدباء ٦/ ٢٦١٨، وبغية الوعاة١/ ٢١٥.

(١)علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس أبي الطيب: يعرف بابن وهاس كان أصله من اليمن وكان شريفًا جليًلا من أهل مكة وشرفائها، وأمرائها وكان ذا فضل غزير، وله تصانيف مفيدة، وقريحة في النظم والنثر مجيدة، وقرأ على الزمخشري بمكة وبرز عليه، وصرفت أعنة طلبة العلم إليه، وتوفي (سنة ٥٥٣هـ) ينظر: معجم الأدباء ١٤/ ٨٥، وإنباه الرواة ٣/ ٢٧٢.

(٢) السلفي الحافظ أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الأصفهاني، كان إمامًا حافظًا متقنًا، ناقدًا ثبتًا ديِّنًا خَيِّرًا، انتهى إليه علو الإسناد، روى عنه الحفاظ في حياته، وله تصانيف، وكان أوحد زمانه في علم الحديث، وأعلمهم بقوانين الرواية؛ وكان مقيمًا بالإسكندرية، توفي سنة (٥٧٦هـ). ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٨٠؛، وشذرات الذهب ٤/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام ١/ ٤٨٨.

(٣) طبع أوّل مرة في بولاق سنة ١٢٨١، ثم في القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ، ١٣٠٨ هـ، ١٣١٨ هـ، ١٣١٩ هـ، ١٣٥٤ هـ، وطبع حديثًا عدة طبعات.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٣٤.

(٥) طبع الكتاب مرات عدّة في القاهرة وبيروت.

(٦) ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٣٤.

والحكم[١]- أعجب العجب في شرح لاميّة العرب[٢]- الأمالي في كل فنّ[٣].

- الأمكنة والجبال والمياه والبقاع المشهورة في أشعار العرب[٤]،-جواهر اللغة[٥]،- رسالة الأسرار[٦]،- شافي العيّ من كلام الشافعي[٧]،- شرح أبيات كتاب سيبويه[٨]، الفائق في غريب الحديث[٩].

المطلب الربع: أقوال العلماء فيه:

كان الزمخشري –رحمه الله- معتزلي المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره، أجمع العلماء على الثناء على الزمخشريّ- رحمه الله –، ومدحه بسعة العلم، وكثرة الفضل، والتفنّن في العلوم، وقد لقّبوه بـ«فخر خوارزم».

(١) ترجم إلى الألمانية، وطبع مع الأصل في فينا سنة ١٨٣٥ م، وفي ستتجارت سنة ١٨٦٣ م، وترجم إلى الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨٧٦ م؛ وطبع في بيروت بشرح الشيخ يوسف أفندي الأسير سنة ١٣١٤ هـ، وطبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ بشرح الميرزا يوسف خان بن اعتصام الملك بعنوان «قلائد الأدب في شرح أطواق الذهب». ينظر: تاريخ الأدب العربي ٥/ ٢٣٥.

(٢) طبع عدّة طبعات، منها الطبعة الأولى بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية، والطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ.

(٣)ينظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٦٩؛ وشذرات الذهب ٤/ ١١٩.

(٤) طبع في ليدن سنة ١٨٨٥م، وفي بغداد سنة ١٩٣٨ م، وسنة ١٩٦٨م. وسمّاه ياقوت الحموي «الجبال والأمكنة» ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٣٤.

(٥) ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٣٤.

(٦)ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٣٤.

(٧) ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٨٠؛ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٣٤ (واسمه فيه: شرح كتاب سيبويه")؛ ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٩.

(٨) ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٣٤؛ ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٩؛ وشذرات الذهب ٤/ ١١٩، بغية الوعاة ٢/ ٢٨٠؛ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٣٤ (واسمه فيه: شرح كتاب سيبويه")؛ ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٩.

(٩) مخطوط في برلين وليدن وغيرهما. ينظر: تاريخ الأدب العربي ٣/ ٢٢٩ وتاريخ آداب اللغة ٣/ ٤٧).

قال السيوطيّ[١]:«كان واسع العلم، كثير الفضل، غايةً في الذكاء وجودة القريحة، متفننًا في كل علم»[٢].

وقال ابن خلكان[٣]: «الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان. كان إمام عصره من غير مدافع تشدّ إليه الرحال في فنونه»[٤].

وقال القفطيّ[٥]: «وكان – رحمه الله – ممّن يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة ... وما دخل بلدًا إلّا واجتمعوا عليه وتتلمذوا بين يديه، واستفادوا منه، وكان علاّمة ونسّابة العرب، أقام بخوارزم تُضرب إليه أكباد الإبل، وتحطّ بفنائه رحال الرجال، وتُحدى باسمه مطايا الآمال»[٦]. وقال في مكان آخر: «وكان الزمخشريّ أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وأكثرهم أنسًا واطلاعًا على كتبها،

---

(١) هو: عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر بن محمد بن سابق الدين المعروف بـــ جلال الدين السيوطي، له العديد من المصنفات، منها: بغية الوعاة، وهمع الهوامع، والدر المنثور، وغير ذلك الكثير، توفي سنة: ٩١١هـــ. ينظر: شذرات الذهب لابن العماد ١٠/ ٧٤، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٠١، ٣٠٢.

(٢)ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٧٩.

(٣) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان سكن مصر مدة، وناب في القضاء بها، ثم ولي قضاء الشام عشر سنين ثم عزل فأقام بمصر سبع سنين ثم رُدّ إلى قضاء الشام، توفى سنة: ٦٨١هـــ، ينظر: الوافي بالوفيات ٧/ ٣٠٨، فوات الوفيات ١/ ١١٠، شذرات الذهب ٥/ ٣٧١.

(٤)ينظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٦٨.

(٥)جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي لد بقفط (من الصعيد الأعلى بمصر) وسكن حلب، فولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر، وأطلق عليه لقب " الوزير الأكرم " من تصانيفه " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " و " إنباه الرواة على أنباه النحاة – (توفى سنة: ٦٤٦هـــ) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٤ وشذرات الذهب ٥/ ٢٣٦، الأعلام ٥/ ٣٣.

(٦)ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٦٥ – ٢٦٦.

وبه ختم فضلاؤهم»[١].

وقال ياقوت الحموي[٢]: «كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل، متفننًا في علوم شتَّى»[٣].

وفاته:

وبعد مكّة عاد إلى وطنه ثانية، معرجًا على بغداد (سنة ٥٣٣ هـ) ، وبقي في خوارزم إلى أن أتته المنيّة ليلة عرفة (سنة ٥٣٨ هـ)، بجرجانيّة، وهي قصبة خوارزم على شاطئ نهر جيحون[٤].

(١) ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٧٠.

(٢) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب من كتبه " معجم البلدان – و إرشاد الأريب، (توفي سنة ٦٢٦هـ) ينظر: الأعلام للزركلي ٨/ ١٣١، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء٢٢/ ٣١٢.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٢٦ قال ابن النجار: قرأت على زينب بنت عبد الرحمن بنيسابور، عن الزمخشري، أخبرنا ابن البطرة، فذكر حديثا من "المحامليات"، قال السمعاني: برع في الآداب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة نسابة، جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية. مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥٢).

(٤) ينظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٧٣ – ١٧٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٨٠، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٢١.

الفصل الثاني: تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري في سورة آل عمران

ويشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المراد بالحروف المقطعة.

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-: والحروف المقطعة تقدم في أوائل سورة البقرة ما يغني عن الإعادة، ثم قال-رحمه الله- قال القرطبي في تفسيره[١]: اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور، فقال جماعة من المحدثين: هي سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر، فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها، وتمر كما جاءت، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب.

قال: وذكر أبو الليث السمرقندي[٢] عن عمر وعثمان وابن مسعود-رضي الله عنهم- أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر، وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله -عز وجل-، قال: وقال جمع من العلماء كثير: بل نحب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها، واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة، فروي عن ابن عباس وعلي-رضي الله عنهما- أيضا أن الحروف المقطعة في القرآن: اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، وقال قطرب[٣] والفراء[٤] وغيرهما: هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٥.

(٢) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث السمرقندي، إمام الهدى، له «تفسير القرآن» وكتاب «النوازل» في الفقه و«خزانة الأكمل» و«تنبيه الغافلين»و«بستان العارفين»، توفي سنة ٣٩٣هـ. ينظر: تاريخ الإسلام ٨/ ٤٢٠، وكشف الظنون١/ ٤٤١، والأعلام ٨/ ٢٧.

(٣) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع (المثلث) في اللغة، توفي سنة٢٠٦هـ.ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٩٤ وتاريخ بغداد ٣، ٢٩٨ والأعلام٧/ ٩٤.

(٤) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله ، المعروف بالفراء، من صغار التابعين، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ ، توفي سنة: ٢٠٧هـ بمكة. ينظر: مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ١/ ٨٦، ووفيات الأعيان

تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناء كلامهم عليها؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم. قال قطرب: كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلما نزل "الم" و"المص" استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم- أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم، وقال قوم: روي أن المشركين لما أعرضوا عن القرآن بمكة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (١) فأنزلها استغربوها، فيفتحون أسماعهم، فيسمعون بالقرآن بعدها، فتجب عليهم الحجة، وقال جماعة: هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها، .....وذهب إلى هذا الزجاج(٢) فقال: أذهب إلى أن كل حرف منها يؤدي عن معنى. وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة، وقال زيد بن أسلم: هي أسماء للسور، وقال الكلبي(٣): هي أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضلها وهي من أسمائه، ومن أدق ما أبرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في الكشاف فإنه قال: واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء، وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء: وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم، ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة

٦/ ١٧٦ - ١٨٢، والسير ١٠/ ١١٨.

(١) سورة فصلت ٤١ الآية ٢٦.

(٢) أبو إسحاق الزَّجَّاج هو إبراهيم بن السري بن سهل، البغدادي، نحوي زمانه، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب صنف كتابًا في معاني القرآن وله كتاب الأمالي، وغيرهما كثير، توفي سنة ٣١١هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٩، والسير ١٤/ ٣٦٠، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ٢٦٠.

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ابن الحارث الكلبي، أبو النضر: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. من أهل الكوفة. صنف كتابا في (تفسير القرآن) وهو ضعيف الحديث، قال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير. توفي سنة: ١٤٦هـــ ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٦، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٦٠، والأعلام ٦/ ١٣٣.

على أنصاف أجناس الحروف.....[١]،وأقول: هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها، وبيانه أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت كما قال، فهذا متيسر بأن يقال لهم: هذا القرآن هو من الحروف التي تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها، فيكون هذا تبكيتا وإلزاما يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز وتعمية وتفريق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة، فإن هذا مع ما فيه من التطويل الذي لا يستوفيه سامعه إلا بسماع جميع هذه الفواتح، هو أيضا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقل شيئا منه، فضلا عن أن يكون تبكيتا له وإلزاما للحجة أيا كان، فإن ذلك هو أمر وراء الفهم، مترتب عليه ولم يفهم السامع هذا، ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدي لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه إلى بعض هذا فضلا عن كله، ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها، وذلك النصف مشتمل على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا إسلامي ولا مقر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض،

---

(١) وبيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون، ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف، ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون، ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والتاء والعين والسين والحاء والنون، ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء. ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكنوزة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته، وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله، وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته، فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم، وما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم، أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين، وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل١/ ٢٩، انتهى.

ولا يصح أن يكون مقصدًا من مقاصد الرب –سبحانه–، الذي أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به. ..... ثم قال: والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك، مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة لله –عز وجل– لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا، وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه(١).

دراسة النص:

ليس لهذه الفواتح في اللغة العربية معان مستقلة، ولم يرد من طريق صحيح عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، بيان للمراد منها، بيد أنه قد أثرت عن السلف آراء متعددة في معاني هذه الحروف، وهذه الآراء، على كثرتها، ترجع إلى رأيين اثنين: أحدهما: أنها جميعا مما استأثر الله به، ولا يعلم معناه أحد سواه، وهذا رأى كثير من الصحابة والتابعين(٢) وثانيها: أن لها معنى، وقد ذهبوا في معناها مذاهب شتى.

ذكر الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى، مذهبين للعلماء في المراد بالحروف المقطعة.

المذهب الأول مذهب التفويض: أنها سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر، فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها، وتمر كما جاءت، وهذا القول روي عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب.

المذهب الثاني مذهب التأويل: قال جمع من العلماء الحروف المقطعة لها معانٍ؛ ولكنهم اختلفوا فيها على أقوال عديدة، أولها: أن الحروف المقطعة في القرآن: اسم الله الأعظم(٣) إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، الثاني: هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناء كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم. الثالث:

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١/ ٣٨.

(٢) نسب القرطبي فى تفسيره هذا الرأي الى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين. وقال به عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم وأبو حيان ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٦.

(٣)حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، قال: سألت السُّدِّي عن«حم» و«طسم» و«ألم»، فقال: قال ابن عباس: هو اسْم الله الأعظم ينظر: تفسير جامع البيان ١/ ٢٠٦.

هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها.

الرابع: هي أسماء للسور[١].

الخامس: هي أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضلها وهي من أسمائه[٢].

السادس: قول الزمخشري -رحمه الله- في الكشاف أن الحروف المقطعة نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر، ثم قال: وفي ذلك التبكيت للعرب، وإلزام الحجة إياهم، وقد تعقبه الإمام الشوكاني -رحمه الله- بقوله: هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها، وبيانه أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت كما قال، فهذا متيسر بأن يقال لهم: هذا القرآن هو من الحروف التي تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها، فيكون هذا تبكيتًا وإلزامًا يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز وتعمية وتفريق لهذه الحروف، وقد رجح الإمام الشوكاني-رحمه الله تعالى- أن الحروف المقطعة من الأمور المتشابهة التى استأثر الله بعلمه؛ لعدم ورود دليل صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في تفسيرها؛ ولأن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفت أقوالهم في تفسير الحروف المقطعة، فلا يجوز ترجيح أحدهما على الآخر بلا وجهٍ، وإن أخذنا بالجميع، كان أخذنا بما اختلف فيه وهذا غير جائز، قال الطبري: «ولكل قول من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك، وجهٌ معروفٌ[٣]».

الراجح:

وبالنظر إلى الأقوال الواردة في تفسير الحروف المقطعة يتبين لنا أن ما ذهب إليه الإمام الشوكاني- رحمه الله- من كون الحروف المقطعة من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهو عالم بمرادها صحيح،

---

(١) قال الطبري: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا عبد الله بن وهب، قال: سألت عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، عن قول الله:"ألم ذلك الكتاب" و"ألم تَنزيل"، و"ألمر تلك"، فقال: قال أبي: إنما هي أسماء السُّوَر. ينظر: جامع البيان ١/ ٢٠٦.

(٢) حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: هو قَسَم أقسمَ الله به، وهو من أسماء الله. ينظر: تفسير جامع البيان ١/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: تفسير جامع البيان ١/ ٢١١.

وأن تعقيبه على الزمخشري-رحمه الله- تعقيب سديد وفي محله، وهو أن التدقيق الذي ذكره الزمخشري-رحمه الله- غير مفيد للتبكيت للعرب وإلزام الحجة لهم؛ ولأن أصحاب مذهب التفويض- آثروا السلامة، وتركوا الخوْضَ في تأويلها فَرَقًا من أن يقولوا في كتاب الله برأي لا يستند إلى دليل ظاهر، فيعرِّضُوا أنفسهم إلى غضب الله تعالى، وعذابه في الدنيا والآخرة.

والقول على الله بغير علم من أكبر الكبائر وأعظمها جرمًا، كما صرَّحت بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية "قال هؤلاء المفوضون: إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهو سر الله في القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها، ونَكِلُ العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها[١].

المبحث الثاني: الخلاف في إعراب قوله: ﴿ قَائِمًا ﴾

قال الشوكاني –رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢]، **وانتصاب** قَائِمًا :على الحال من الاسم الشريف، **قال في الكشاف:** إنها حال مؤكدة [٣] كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ وجاز إفراده سبحانه بذلك دون ما هو معطوف عليه من الملائكة وأولي العلم لعدم اللبس وقيل: إنه منصوب على المدح وقيل: إنه صفة لقوله: ﴿ إِلَهَ ﴾ أي: لا إله قائمًا بالقسط إلا هو، أو هو حال من قوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والعامل فيه معنى الجملة. وقال الفراء[٤]: هو منصوب على القطع، لأن أصله الألف واللام، فلما قطعت نصب كقوله: ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[٥]ويدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود: "القائم بالقسط".

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن للشيخ محمد بكر إسماعيل، ١/ ٢٠٥.

(٢) سورة آل عمران ٣ الآية: ١٨.

(٣)ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٣٤٣.

(٤)ينظر: معاني القرآن للفراء / ٢٠٠.

(٥)سورة النحل ١٦ الآية ٥٢.

دراسة النص:

ذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- أربعة أقوال في إعراب قوله: ﴿قائمًا﴾

القول الأول: أنه منصوب على الحال من الاسم الشريف أو حال مؤكدة، أو حال من قوله: ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾.

القول الثاني: أنه منصوب على القطع(١).

القول الثالث: أنه منصوب على المدح.

القول الرابع: أنه صفة لقوله:﴿ إِلَهَ﴾

وبالنظر إلى هذه الأقوال الأربعة نجد أن كلام أئمة التفسير، في كل واحدة منها لا يسلم من اعتراضٍ.

القول الأول: أنه منصوب على الحال من الاسم الشريف أو حال مؤكدة أو حال من قوله:﴿ إِلَّا هُوَ ﴾.

قال أبو حيان(٢) رحمه الله- : «وليس من باب الحال المؤكدة؛ لأنه ليس من باب ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣) ولا من باب: أنا عبد الله شجاعًا فليس ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ بمعنى «شَهِدَ» وليس مؤكدًا مضمونَ الجملة السابقة في نحو: أنا عبد الله شجاعًا، وهو زيد شجاعًا، لكنْ في هذا التخريج قلقٌ في التركيب»(٤).

---

(١) «القطع» هو الحال، وقد بينه الفراء في كلامه في معاني القرآن إذ قال: «منصوب على القطع، لأنه نكرة نعت به معرفة»، وبين أن الحال ضرب من النعت. تقول: «جاءني زيد الراكب» بالرفع، فيكون نعتًا؛ لأنه معرفة نعت بمعرفة، فإذا نعته بالنكرة لم يجز أن تقول: «جاءني زيد راكب» بالرفع، إلا أن تجعله بدلًا من المعرفة، وإنما الوجه أن تقطعه عن إعراب النعت، فتنصبه، فيكون حالًا، فذلك تفسير «القطع» على أنه الحال ، وهو من اصطلاح أهل الكوفة والله أعلم. ينظر: هامش تفسير جامع البيان ٦/ ٢٧٠.

(٢) أبو حيان هو: هو الإمام أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، نَحْويُّ عصره ولُغَوِيُّه ومُقرِئُه. ولد ٦٥٠هـ، اشتهر اسمه، وطار صيته، وألف الكتب المشهورة، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته، (توفي سنة ٧٤٥هـ). تنظر: طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ٢٧٦، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٥٣٤، والأعلام ٧/ ١٥٢.

(٣) سورة مريم ١٩ الآية: ١٥.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٩٥.

فكلام أبي حيان –رحمه الله– هنا يلاحظ فيه الاعتراض على قول الزمخشري–رحمه الله– وهو قول ليس مُسَلَّم به، فوجه هذا الاعتراض أنه ليس مؤكدًا لجملة سابقة.

قال صاحب التحرير والتنوير: وزعم ابن هشام في: أن كونه حالًا مؤكدة وهم، وعلله بما هو وهم[١].

أما كونه حال من قوله:﴿ إِلَّا هُوَ﴾، قال ابن عطية: وقائِمًا نصب على الحال من اسمه تعالى في قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ ﴾أو من قوله:﴿ إِلَّا هُوَ﴾ [٢]، ولم يرجح قولًا، ولكننا إذا نظرنا إلى غيره من المفسرين –رضوان الله عليهم–، نجدهم عند تعرضهم لمثل هذه الأقوال يرجحون بقواعد وأسس استقرت عندهم فنجد مثلًا صاحب إعراب القرآن وبيانه يرجِّح إعراب قوله: ﴿ قائِمًا ﴾ حال من الضمير فيقول: قوله: ﴿قائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ حال لازمة من الله، أو من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا، ولعله أولى. وجاز مجيء الحال بعد معطوفين لأمن الالتباس، فلو لم يؤمن الالتباس لم يجز مجيء الحال، نحو جاء عليّ وخالد ضاحكًا لعدم العلم بمن هو الضاحك"[٣].

و قال الجمل في حاشيته: و﴿قائِمًا﴾ منصوب على أنه حال من الضمير المنفصل الواقع بعد إلَّا، فتكون الحال أيضا في حيز الشهادة، فيكون المشهود به أمرين: الوحدانية والقيام بالقسط وهذا أحسن من جعله حالًا من الاسم الجليل فاعل ﴿شَهِدَ﴾ شهد؛ لأن عليه يكون المشهود به الوحدانية فقط والحال ليست في حيز الشهادة[٤].

وقال الألوسي[٥] بعد ما ذكر أربعة أقوال في إعراب ﴿قائِمًا ﴾ قال: الخامس– ولعله الأوجه– أن

---

(١)ينظر: التحرير والتنوير ٣/ ١٨٧.

(٢) ينظر: تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤١٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه للشيخ محي الدين درويش، ١/ ٤٧٤.

(٤) ينظر: حاشية الجمل على الجلالين ١ / ٢٥١.

(٥) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، وكان –رضي الله عنه– خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين، أخذ العلم عن فحول العلماء من أهل بغداد من كتبه روح المعاني، وغرائب الاغتراب (توفي سنة: ١٢٧٠هـ).ينظر: الأعلام ٧/ ١٧٦، ومعجم المفسرين ٢/ ٦٦٥، وحلية البشر في تاريخ

يكون حالًا من الضمير والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد أو أحقه؛ لأنها حال مؤكدة ولا يضر تخلل المعطوفين هنا بخلافه في الصفة لأن الحال المؤكدة في هذا القسم جارية مجرى جملة مفسرة نوع تفسير فناسب أن يقدم المعطوفان لأن المشهود به واحد فهو نوع من تأكيده تمم بالحال المفسرة وعلى تقدير الحالية من الفاعل والمفعولية للعلم لا يندرج في المشهود به وعلى تقدير النصب على المدح يحتمل الاندراج وعدمه، وعلى التقديرين الأخيرين يندرج لا محالة(١).

وجاء في التفسير القيم: وقوله: ﴿قائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: نصب على الحال. وفيه وجهان.

أحدهما: أنه حال من الفاعل في ﴿شهد الله» والعامل فيه معنى الفعل، والمعنى على هذا: شهد الله حال قيامه بالقسط: أنه لا إله إلا هو، والثاني: أنه حال من قوله: «هو» والعامل فيها معنى النفي، أي لا إله إلا هو حال كونه قائما بالقسط(٢).

وبين التقديرين فرق ظاهر، وأما التقدير الثاني- وهو أن يكون قوله: ﴿قَائِمًا﴾ حالًا مما بعد «إلا» - فالمعنى: أنه لا إله إلا هو قائما بالعدل، فهو وحده المستحق الإلهية، مع كونه قائما بالقسط، وهذا التقدير أرجح، فإنه يتضمن أن الملائكة وأولي العلم، يشهدون له بأنه لا إله إلا هو، وأنه قائم بالقسط(٣).

قلت: مراده: أنه إذا كان قوله: ﴿قائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ حالا من المشهود به: فهو كالصفة له. فإن الحال صفة في المعنى لصاحبها. فإذا وقعت الشهادة على ذي الحال وصاحبها، كان كلاهما مشهودًا به، فيكون الملائكة وأولوا العلم قد شهدوا بأنه قائم بالقسط، كما شهدوا بأنه لا إله إلا هو(٤).

والتقدير الأول لا يتضمن ذلك، فإنه إذا كان التقدير: شهد الله قائما بالقسط: أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم يشهدون أنه لا إله إلا هو- كان القيام بالقسط حالًا من اسم الله وحده، وأيضا:

القرن الثالث عشر ١/ ١٤٥٠.

(١) ينظر: تفسير روح المعاني ٢/ ١٠٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم لابن القيم ١/ ١٨٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ١٨٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ ١٨٦.

فكونه قائما بالقسط فيما شهد به أبلغ من كونه حالًا من مجرد الشهادة[١].

أما بالنسبة للقول الثاني، أنه منصوب على القطع فاعترض عليه أبو حيان رحمه الله أيضًا فقال:" وأما انتصابه على القطع فلا يجيء إلا على مذهب الكوفيين، وقد أبطله البصريون"[٢].

وصاحب جامع البيان –رحمه الله– قد رجح هذا القول بقوله –رحمه الله– «وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي، قولُ من جعله قَطعًا، على أنه من نعت الله جل ثناؤه؛ لأن «الملائكة وأولي العلم»، معطوفون عليه، فكذلك الصحيح أن يكون قوله: ﴿قائمًا﴾ حالًا منه»[٣].

القول الثالث: أنه منصوب على المدح.

هذا القول اعترض عليه الإمام البيضاوي –رحمه الله– قال: .....أو الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة، أو حالًا من الضمير[٤].

وأما انتصابه على المدح فاعترض عليه الزمخشري أيضًا بقوله:« من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة، كقولك: الحمد لله الحميد»[٥].

القول الرابع أنه صفة لقوله: ﴿ إِلَهَ﴾

قال أبو حيان –رحمه الله–: وهذا القول لا يجوز؛ لأنه فصل بين الصفة والموصوف أجنبي، وهو المعطوفان اللذان هما: الملائكة وأولو العلم، وليسا معمولين من جملة لا إله إلا هو بل هما معمولان: لشهد، وهو نظير: عرف زيد أن هندا خارجة وعمرو وجعفر التميمية، فيفصل بين هندا والتميمية بأجنبي ليس داخلا فيما عمل فيها، وفي خبرها بأجنبي وهما: عمرو وجعفر، المرفوعان بعرف، المعطوفان على

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم لابن القيم ١/ ١٨٦.

(٢)ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٦٤.

(٣)ينظر: تفسير جامع البيان ٦/ ٢٧٠.

(٤)ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٩.

(٥)ينظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٣٤٤.

زيد[١].

القول الراجح:

في الحقيقة أن كل الآراء لا تسلم من اعتراض، ولكن الراجح من وجهة نظري هو ما ذهب إليه الإمام الشوكاني –رحمه الله تعالى– أن قوله﴿قائمًا﴾حال من الاسم الشريف، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين، وهذا ما قرره الرازي، وأبو حيان رحمهما الله جميعًا.

قال الإمام الرازي[٢] –رحمه الله– المسألة الثانية: قوله قائمًا بالقسط فيه وجهان الأول: أنه حال من المؤمنين والتقدير: وأولو العلم حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في أداء هذه الشهادة والثاني: وهو قول جمهور المفسرين أنه حال من الاسم الشريف والعامل فيه ﴿شَهِدَ﴾[٣].

قال أبو حيان: والأولى من هذه الأقوال كلها أن يكون منصوبًا على الحال من اسم الله، والعامل فيه: شهد، وهو قول الجمهور[٤].

المبحث الثالث: الخلاف في اشتقاق المسيح عيسى

قال الإمام الشوكاني –رحمه الله تعالى– عند تفسيره لقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٥]"

والمسيح اختلف فيه من ما ذا أخذ؟ فقيل: من المسح؛ لأنه: مسح الأرض، أي: ذهب فيها فلم

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٦٣.

(٢) فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري الرازي الإمام المفسر المتكلم، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل: لقب بشيخ الإسلام، صاحب تفسير: مفاتيح الغيب وله أيضا «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن»، توفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: السير ٢١/ ٥٠٠ ، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨.

(٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٧/ ١٧٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٦٤.

(٥)سورة آل عمران ٣ الآية:٤٥.

يستكن بكن وقيل: إنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برىء، فسمي مسيحًا، فهو على هذين: فعيل، بمعنى: فاعل وقيل:؛ لأنه كان يمسح بالدهن الذي كانت الأنبياء تمسح به وقيل:؛ لأنه كان ممسوح الأخمصين[١] وقيل:؛ لأن الجمال مسحه وقيل:؛ لأنه مسح بالتطهير من الذنوب، وهو على هذه الأربعة الأقوال: فعيل، بمعنى: مفعول، وقيل: المسيح ضد المسيخ بالخاء المعجمة، وقيل المسيح: الصديق، وأصله بالعبرانية: مشيخا، بالمعجمتين، فعرب كما عرب موشى بموسى، وأما الدجال فسمي مسيحا؛ لأنه ممسوح إحدى العينين وقيل:؛ لأنه يمسح الأرض، أي: يطوف بلدانها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، وقوله: عيسى عطف بيان، أو بدل، وهو اسم أعجمي وقيل: هو عربي مشتق من عاسه يعوسه إذا ساسه، قال في الكشاف: الْمَسِيحُ لقب من الألقاب المشرفة، كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه المبارك، كقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبارَكًا أَيْنَ ما كُنْتُ﴾ [٢] وكذلك (عيسى) معرب من أيشوع. انتهى[٣].

دراسة النص:

عندما تكلم الإمام الشوكاني –رحمه الله تعالى– عن أصل كلمة المسيح، نجده يرجح من خلال كلامه أن "المسيح" اسمًا مشتقًا، ثم عقب بعد ذلك بقوله: وأصله بالعبرانية: مشيخًا، بالمعجمتين، فعرب كما عرب موشى بموسى، فهذا يدل على ترجيحه لكلامه؛ لأنه صدر الكلام به.

وإذا نظرنا إلى أقوال المفسرين، فإنهم مختلفون أيضا في اشتقاق المسيح

جاء في المحرر الوجيز: "واختلف الناس في اشتقاق لفظة الْمَسِيحُ فقال قوم، هو من ساح يسيح في الأرض، إذا ذهب ومشى أقطارها فوزنه مفعل، وقال جمهور الناس: هو من– مسح– فوزنه– فعيل، واختلفوا– بعد– في صورة اشتقاقه من– مسح– فقال قوم من العلماء، سمي بذلك من مساحة الأرض لأنه مشاها فكأنه مسحها، وقال ابن جبير عن ابن عباس: الْمَسِيحُ الملك، وسمي بذلك لأنه ملك إحياء

(١) أخمص القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٨٠.

(٢)سورة مريم ١٩ الآية ٣١.

(٣)ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٣٩١.

الموتى، وغير ذلك من الآيات، وهذا قول ضعيف لا يصح عن ابن عباس[١].

ومن خلال نص كلام ابن عطية[٢] رحمه الله نجده يرجح ما ذهب إليه الإمام الشوكاني رحمه الله أن المسيح مشتق وليس معربًا، ولكن الخلاف الوارد من أي شيء اشتق؟ هل من ساح أو من مسح وغير ذلك؟

ومما ذهب إلى ذلك أيضًا -مرجحًا كلام عامة المفسرين أن المسيح مشتقٌ وليس معربًا- الإمام الواحدي في البسيط حيث قال: "فأما معنى المسيح فأصله بالعبرانية: (مشيحًا)، فعرَّبته العربُ وغيرت لفظه، وكما قالوا: موسى، وأصله: (موشى)، أو (ميشى) بالعبرانية ، فلمَّا أعربوه صار لا اشتقاق له، وأكثر العلماء على أنه مشتق[٣].

والألفُ واللامُ في «المسيح» للغلبَةِ وفيه وجهان، أحدُهما: أنه فَعِيل بمعنى فاعِل مُحَوّل منه مبالغة، فقيل: لأنه مَسَحَ الأرض بالسِّياحة، وقيل: لأنه يَمْسَح ذا العاهة فيبرأُ، وقيل: بمعنى مَفْعول لأنه مُسِحَ بالبركةِ أو لأنه مَسِيحُ القدمِ

والثاني: أنَّ وَزْنَهُ مَفْعِل من السياحةِ وعلى هذا كله فهو منقولٌ من الصفة. وقال أبو عبيد: أصلُه بالعبرانية: «مسيخًا» فَغُيِّر[٤]، قال أبو حيان: « المسيح: عبراني معرب، وأصله بالعبراني مشيحًا، بالشين عرب بالسين كما غيرت في موشى، فقيل: موسى،فعلى هذا يكونُ اسمًا مرتجلًا ليس مشتقًا من المَسْح ولا من السِّياحة» قلت: قولُه: «ليس مشتقًا» صحيحٌ، ولكنْ لا يَلْزَمُ من ذلك أن يكونَ مرتجلاً ولا بُدَّ، لاحتمالِ أن يكونَ في لغتِهِم منقولاً من شيء عندهم[٥].

---

(١)ينظر: تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٣٦.

(٢) وابن عطية: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب، الإمام الكبير قدوة المفسرين، كان فقيهًا عارفًا بالأحكام، والحديث، والتفسير بارعًا في الأدب، لو لم يكن له إلا التفسير لكفى، (توفي سنة: ٥٤٢هـ). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/ ٢٩٥ ، والوافي بالوفيات ١٨/ ٤١.

(٣)ينظر: التفسير البسيط ٥/ ٢٥٥.

(٤) ينظر: هامش غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٢٥٥ البحر المحيط في التفسير ٣/ ١٥٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ١٤٤.

الْمَسِيحُ لقب من الألقاب المشرفة، كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحًا بالعبرانية، ومعناه المبارك، كقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبارَكًا أَيْنَ ما كُنْتُ﴾ (١) وكذلك (عيسى) معرب من أيشوع(٢).

وقال صاحب التحرير والتنوير: والمسيح كلمة عبرانية بمعنى الوصف، ونقلت إلى العربية علمًا بالغلبة على عيسى وقد سمى متنصرة العرب بعض أبنائهم «عبد المسيح» وأصلها مسيح- بميم مفتوحة ثم سين مهملة مكسورة مشددة ثم ياء مثناة مكسورة مشددة ثم حاء مهملة ساكنة- ونطق به بعض العرب بوزن سكين(٣).

وبيان ذلك أَن العلماءَ اختلفوا فى هذه: هل هى عربيّة أَم لا، فقال بعضهم: سريانيّة وأَصلها مشيحا بالشين المعجمة فعرّبتها العرب، وكذا ينطق بها اليهود، وهذا هو القول الأَول.

والذين قالوا: إِنها عَربية اختلفوا فى مادّتها، فقيل: من سيح، وقيل: من مسح.

ثم اختلف كل فرقة منها(٤).

قال الإمام الرازي -رحمه الله تعالى- "وأما قوله تعالى: ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ففيه سؤالات: السؤال الأول: المسيح: هل هو اسم مشتق، أو موضوع؟.

والجواب: فيه قولان: الأول: أصله بالعبرانية مشيحا، فعربته العرب وغيروا لفظه، وعيسى: أصله يشوع كما قالوا في موسى: أصله موشى، أو ميشا بالعبرانية، وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق، والقول الثاني: أنه مشتق وعليه الأكثرون، ثم ذكروا فيه وجوها (٥).

ومن خلال نص الإمام الرازي -رحمه الله- نجده أيضًا يرجح أن المسيح مشتقٌ، وليس معربًا، وهذا ما ذهب إليه الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-.

---

(١)سورة مريم ١٩ الآية ٣١.

(٢)ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٣٦٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣/ ٢٤٦ ، وتفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ٢٥٥.

(٤) تراجع الأقوال كلها في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٥٠٠.

(٥) تنظر: الوجوه في تفسير مفاتيح الغيب ٨/ ٢٢٢ تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٢٤٥.

قال صاحب الجامع لأحكام القرآن: مضعفًا قول من قال بأنه معرب : والمسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق، وهو فيما يقال معرب وأصله الشين وهو مشترك(١).

فلفظة «قيل» عند المفسرين وغيرهم من المحدثين هي لفظة تضعيف والله اعلم.

ومن خلال هذا العرض لأقوال أئمة التفسير رضوان الله عليهم يتبين للقارئ الكريم أن ما ذهب إليه الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى من كون لفظة المسيح مشتقة هذا هوالرأي الراجح، وما ذهب إليه الزمخشري هو رأي مرجوح، حتى وإن وافقه بعض المفسرين والله أعلم.

أما بخصوص اشتقاق« عيسى» فنجد أن الشوكاني -رحمه الله-قد وافق الزمخشري -رحمه الله تعالى- في كون عيسى اسمًا أعجميًّا -فهذا تعبير الشوكاني- أما الزمخشري فقال هو اسم معرب وهذا لا فرق بينهما وهو ما ذهب إليه أيضًا جمهور المفسرين واللغويين رحمهم الله تعالى.

قال صاحب أنوار التنزيل -رحمه الله تعالى-: « وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح، لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو مسحه جبريل، ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة »(٢).

ومن خلال قول صاحب أنوار التنزيل -رحمه الله تعالى- يتبين أنه كلامه موافق لما ذهب إليه الشوكاني -رحمه الله- تعالى في كون المسيح اسمًا عربيًّا خالصًا، اما عيسى فهو معرب ايشوع وهذا ما ذهب إليه الإمامان -الزمخشري والشوكاني- رحمهما الله تعالى، وجاء في تفسير الروح والريحان أن عيسى معرب فقال: "وعيسى معرب: أيشوع، مشتق من العيس، وهو بياض يعلوه حمرة(٣).

قال ابن عطية: قوله: «عيسى» عَلَمٌ أعجمي فلذلك لم يَنْصَرِفْ، وقد تكلَّم النحويون في وزنِه واشتقاقِه على تقدير كونِه عربيَّ الوضع، فمَنْ قال إنَّ «عِيسى» مشتقٌّ من العَيْس وهو بياضٌ تخالطُه شُقْرةٌ

(١) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٨٨.

(٢) ينظر: تفسيرأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٧، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٤/ ٣٠٣).

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٤/ ٣٠٣.

ليس بمصيبٍ لأنَّ الأعجميَّ لا يَدْخُلُه اشتقاقٌ ولا تصريفٌ(١).

وخلاصة القول أن الجمهور من المفسرين أجمعوا على أن عيسى اسمًا أعجميًا، فأخذته العرب فعرب بالوضع العربي والله أعلم.

أما عن قول النحاة في أصل «عيسى» فقد نقلت بعض النقول لتبين أن "عيسى" ليس عربيًا فإنما هو اسم أعجمي على حد تعبير الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-.

جاء في تهذيب اللغة أن: «عِيسَى» اسْم أعجميّ عُدل عَن لَفظه بالأعجميّة إِلَى هَذَا الْبناء فيكون اشتقاقه من شَيْئَيْنِ: أَحدهمَا العَيَس، وَالْآخر من العَوْس وَهُوَ السياسة، فقلبت الْوَاو يَاء لانكسار مَا قبلهَا، فأمّا اسْم نبيّ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فمعدول عَن أيسُوع كَذَا يَقُول أهل السريانية(٢).

وجاء في لسان العرب: قَالَ سِيبَوَيْهِ: عِيسَى فِعْلى، وَلَيْسَت أَلفه للتأنيث، وَإِنَّمَا هُوَ أعجمي، وَلَو كَانَت أَلفه للتأنيث لم ينْصَرف فِي النكرَة، وَهُوَ ينْصَرف فِيهَا، قَالَ: أَخْبرنِي بذلك من أَثِق بِهِ، يَعْنِي بصرفه فِي النكرَة، وَالنّسب إِلَيْهِ عِيسِيّ(٣).

وفي مختار الصحاح: (عِيسَى) ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ أَوْ سُرْيَانِيٌّ وَالْجَمْعُ الْعِيسَوْنَ بِفَتْحِ السِّينِ وَرَأَيْتُ الْعِيسَيْنَ وَمَرَرْتُ بِالْعِيسَيْنَ، وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ ضَمَّ السِّينِ قَبْلَ الْوَاوِ وَكَسْرَهَا قَبْلَ الْيَاءِ. وَلَمْ يُجِزْهُ الْبَصْرِيُّونَ. وَكَذَا الْقَوْلُ فِي مُوسَى. وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِمَا (عِيسَوِيٌّ) وَمُوسَوِيٌّ وَ (عِيسِيٌّ) وَمُوسِيٌّ(٤).

الرأي الراجح:

بعد ذكري لأقوال المفسرين والنحاة تبين لي أن ما ذهب إليه الإمام الشوكاني-رحمه الله- إلى أن المسيح مشتقٌ وليس معربًا هذا هو الراجح، أما لفظة عيسى فاتفقت فيه كلمة الزمخشري والشوكاني في أنه اسمٌ أعجميٌّ بدليل منعه من الصرف للعلمية والعجمة والله أعلم.

---

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ٤٩٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٣/ ٦٠، تاج العروس ١٦/ ٢٩٧.

(٣)ينظر: لسان العرب ٦/ ١٥٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٢٢١.

(٤) ينظر: مختار الصحاح ١/ ٢٢٣.

المبحث الرابع: الخلاف الوارد في المقصود بالوفاة

قال الشوكاني -رحمه الله-قوله: ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ (١) العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿مَكَرُوا﴾، أو قوله: ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أو: فعل مضمر تقديره: وقع ذلك.

وقال الفراء: إن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره: إني رافعك ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء، وقيل: متوفيك: قابضك، وقال في الكشاف: مستوفي أجلك، ومعناه: إني عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخر أجلك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم. وإنما احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر؛ لأن الصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة، كما رجحه كثير من المفسرين، واختاره صاحب جامع البيان، ووجه ذلك أنه قد صح في الأخبار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نزوله وقتله الدجال، وقيل: إن الله سبحانه توفاه ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه إلى السماء، وفيه ضعف، وقيل: المراد بالوفاة هنا: النوم، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ (٢)، أي: ينيمكم، وبه قال كثيرون(٣).

دراسة النص:

ذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- الخلاف الوارد في قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ فذكر ثلاثة أقوال مرجحًا قول من قال بأن المراد بالوفاة هنا القبض، ثم صدر كلامه بقول من قال: متوفيك أي قابضك، ثم ذكر قول الكشاف فقال: وقال الكشاف "مستوفي أجلك"، فنجد الشوكاني-رحمه الله- يعقب على كلام الزمخشري فيقول الوفاة هي القبض، وإذا نظرنا إلى أقوال المفسرين فإننا نجدها مختلفة متباينة في معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، وسأذكر طرفًا منها ثم أرجح ما أراه راجحًا.

قال الطبري -رحمه الله- ثم اختلف أهل التأويل في معنى "الوفاة" التي ذكرها الله -عز وجل- في هذه الآية، فأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قولُ من قال:"معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك

---

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ٥٥.

(٢) سورة الأنعام ٦ الآية ٦٠.

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٣٩٥.

إليّ"، لتواتر الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرها[1]، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه [2].

فشيخ المفسرين هنا عندما ذكر كل الأقوال الواردة في معنى قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بأسانيدها رجح قول من قال: بأن المقصود بالوفاة هنا القبض، لورود الأخبار المتواترة في ذلك، وهذا ترجيح بالدليل.

قال الإمام الرازي: واختلف أهل التأويل في هاتين الآيتين على طريقين أحدهما: إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم، ولا تأخير فيها والثاني: فرض التقديم والتأخير فيها أما الطريق الأول فبيانه من وجوه[3] الطريق الثاني: وهو قول من قال: لا بد في الآية من تقديم وتأخير من غير أن يحتاج فيها إلى تقديم أو تأخير، قالوا إن قوله ورافعك إلي يقتضي أنه رفعه حيًّا، والواو لا تقتضي الترتيب، فلم يبق إلا أن يقول فيها تقديم وتأخير، والمعنى: أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٨، كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حديث رقم (٣٤٤٨)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥، كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام حاكمًا بشريعة نبينا حديث رقم (٢٤٢) .

(٢) ينظر: تفسير جامع البيان ت شاكر ٦/ ٤٥٥، تفسير ابن المنذر ١/ ٢٢٢، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١/ ٢٩١.

(٣) الأول: معنى قوله إني متوفيك أي متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا أتركهم حتى يقتلوك، والثاني: متوفيك أي مميتك، الثالث: توفاه حين رفعه إلى السماء، الوجه الرابع: أن الواو في قوله متوفيك ورافعك إلي تفيد الترتيب فالآية تدل على أنه تعالى يفعل به هذه الأفعال، فأما كيف يفعل، ومتى يفعل، فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حي وورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه سينزل ويقتل الدجال»ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك.
الوجه الخامس: المراد إني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك، والوجه السادس: أن التوفي أخذ الشيء وافيا، والوجه السابع: إني متوفيك أي أجعلك كالمتوفى لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفى الوجه الثامن: أن التوفي هو القبض الوجه التاسع: أن يقدر فيه حذف المضاف والتقدير: متوفي عملك بمعنى مستوفي عملك ورافعك إلي أي ورافع عملك إلي.

إياك في الدنيا، ومثله من التقديم والتأخير كثير في القرآن(١).

وقال ابن عباس، معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ هي وفاة موت (يعني) بعد نزوله من السماء، فالكلام هنا في تقديم وتأخير والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، وذلك إذا نزل لقتل الدجال في الدنيا، والواو يحسن فيها ذلك(٢).

والوفاة بمعنى القبض هو صَحِيح عِنْد أهل اللُّغَة، فَيُقَال: توفيت حَقي من فلَان. أَي: قبضت، قَالَ الأزهري: كَأَنَّهُ يَقُول: إِنِّي متوفي عدد آبَائِك فِي الأَرْض، وكل شَيْء تمّ فَهُوَ متوفى، ومستوفى، وَقَالَ الْفراء: فِيهِ تَقْدِيم وَتَأْخِير، وَتَقْدِيره: إِنِّي رافعك إِلَى ومتوفيك " أَي: بعد النُّزُول من السَّمَاء، وَهَذَا التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير الَّذِي ذكرنَا فِي الْآيَة محكى عَن ابْن عَبَّاس وَله قَول آخر: أَن الْآيَة على حَقِيقَة الْمَوْت، وَأَن عِيسَى قد مَاتَ، ثمَّ أَحْيَاهُ الله تَعَالَى وَرَفعه إِلَى السَّمَاء(٣).

---

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٨/ ٢٣٧.

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٢/ ١٠٣٣، وتفسيرالنكت والعيون ١/ ٣٩٧، والتفسير الوسيط للواحدي ١/ ٤٤١، وقال الإمام البغوي -رحمه الله تعالى-: اختلفوا في معنى التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]، أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني رافعك إلي وافيا لم ينالوا منك شيئا، من قولهم: توفيت كذا واستوفيته إذا أخذته تاما، والآخر: إني متسلمك ، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما إلى السماء، معناه إني منيمك ورافعك إلي كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾[الأنعام: ٦٠]، أي: ينيمكم بالليل، وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: أني مميتك يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾[السجدة: ١١]، ينظر: تفسير معالم التنزيل ١/ ٤٤٧.

(٣) ينظر: تفسير السمعاني ١/ ٣٢٣، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٢٥٩، قال ابن عطية -رحمه الله تعالى-: واختلف المفسرون في هذا التوفي، فقال الربيع: هي وفاة نوم، رفعه الله في منامه، وقال الحسن وابن جريج ومطر الوراق ومحمد بن جعفر بن الزبير وجماعة من العلماء: المعنى أني قابضك من الأرض، ومحصنك أني مميتك، هذا لفظ ابن عباس ولم يفسر. ينظر: تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٤٤.

قال ابن كثير –رحمه الله– : قال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾ (٢). وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول إذا قام من النوم قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(٣) وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه. قال الحسن: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لليهود «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة»(٤) .

فإذا كان المقصود بالتوفي الرفع إلى السماء، والثاني: أنه الموت، فعلى القول الأول فإن نظم الكلام مستقيمٌ من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من الأرض وافيًا تامًا من غير أن ينال منك اليهود شيئًا، ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (٥) ، أي: رفعتني إلى السماء من غير موت؛ لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته.

وإذا كان المقصود بالتوفي الموت فيكون في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إليَّ ومطهِّرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، وفائدة إعلامه بالتوفي هنا: تعريفه أن رفعَه إلى السماء لا يمنع من موته(٦).

الرأي الراجح:

هو ما ذهب إليه الإمام الشوكاني –رحمه الله تعالى– ورجحه جمهور العلماء فيرى الجمهور أن معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أى: قابضك من الأرض ورافعك إلى السماء بجسدك وروحك لتستوفى

(١) سورة الأنعام ٦ الآية ٦٠.

(٢)سورة الزمر الآية ٤١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٩، كتاب الدعوات باب ما يقول إذا نام حديث رقم (٦٣١٢).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٧، وتفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ٢٥١.

(٥)سورة المائدة ٥ الآية ١١٧.

(٦) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ١/ ٢٨٧، اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٢٦٥.

حظك من الحياة هناك.

وأصحاب هذا الرأي لا يفسرون التوفي بالموت وإنما يقولون: إن التوفي في اللغة معناه أخذ الشيء تامًا وافيًا.

وترجيح هذا الرأي لعدة أمور منها:

أولها: أن قوله- تعالى- في سورة النساء﴿ وَما قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ (١) يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه .

ثانيها: أن هناك أحاديث متعددة، بلغت في قوتها مبلغ التواتر المعنوي التي تفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله إليه بروحه وجسده.

ثالثًا: وأجمعتِ الأمة على ما تضمَّنه الحديثُ منْ أنَّ عيسى- عليه السلام- في السَّمَاءِ حَيٌّ، وأنه يَنْزِلُ في آخِرِ الزَّمَانِ، فَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيُفِيضُ العَدْلَ(٢)، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ(٣)»

رابعًا: أن هذا القول هو قول جمهور العلماء، وهو القول الذي يتناسب مع ما أكرم الله- تعالى- به عيسى- عليه السلام- من كرامات ومعجزات.

هذا، وقد ذكر بعض المفسرين أقوالًا أخرى للعلماء في معنى هذه الآية الكريمة نرى من الخير عدم ذكرها لضعفها وخوف الإطالة(٤).

---

(١)سورة النساء ٤ الآية ١٥٧.

(٢) ينظر: تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢/ ٥١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٨، كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حديث رقم (٣٤٤٨)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥، كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام حاكمًا بشريعة نبينا حديث رقم (٢٤٢) .

(٤) ينظر: تفصيل هذه المسألة في التفسير الوسيط للشيخ/ محمد سيد طنطاوي -رحمه الله تعالى- ٢/ ١٢١.

المبحث الخامس :المقصود من الابتهال في قوله : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى-: في قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ (١) أصل الابتهال: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره، يقال: بهله الله: أي لعنه، والبهل: اللعن، وقيل: نبتهل: نلتعن، ويطلق على الاجتهاد في الهلاك، ومنه قول لبيد(٢):

فِـي كُـهُـولٍ سَـادَةٍ مِـنْ قَـوْمِـهِ نَـظَـرَ الـدَّهْـرُ إِلَـيْـهِـمْ فَـابْـتَـهَـلْ(٣)

أي: فاجتهد في هلاكهم، قال في الكشاف: ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانًا(٤).

دراسة النص:

ذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى- أن الابتهال هو الاجتهاد في الدعاء باللعن وفي الحقيقة أن هذا هو المراد من الابتهال، أما قول الزمخشري-رحمه الله- يؤكد بأن الابتهال استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانًا.

فالآية الكريمة قد لقنت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الجواب الحاسم الذي يخرس ألسنة المجادلين في عيسى، ويتحداهم- إن كانوا صادقين- أن يقبلوا هذه المباهلة، ولكنهم نكصوا على أعقابهم فثبت كذبهم وضلالهم(٥).

---

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ٦١.

(٢) لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وهو أحد أصحاب المعلقات، توفي سنة ٤١ هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٣٣٥، وتاريخ الإسلام ٢/ ٤٣٦، والإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٥٠٠.

(٣) البيت من بحر الرمل وهو في ديوان لبيد ١/ ٣٩٨، قصيدة ٣٩، البيت: ٨١ وأساس البلاغة (بهل) ١/ ٣٢، وأمالي الشريف المرتضي ١/ ٤٥، من قصيدة مضى بعض أبياتها، وهي من شعره الذي رثى فيه أربد:

وَأَرَى أَرْبَـدَ قَـدْ فَـارَقَـنِـي .وَمِـنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَـلَـلْ

مُـمْـقِـرٌ مُـرٌّ عَـلَـى أَعْـدَائِـهِ، وَعَـلَـى الأَدْنَـيْـنَ حُـلْـوٌ كَـالْـعَسَـلْ

(٤)ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٣٩٨.

(٥) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٢/ ١٢٩.

قال ابن منظور: المباهلة: الملاعنة، يقال: باهلت فلانًا، أي: لاعنته، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا(١).

ومن خلال ذكر كلام ابن منظور يتبين أن الابتهال المقصود به لغة الملاعنة، أما إذا نظرنا إلى كلمة نبتهل في سياقها فإننا نجدها بمعنة الاجتهاد في الدعاء باللعن، وقد ذكر ابن فارس أن (بهل) أصل لثلاثة معانٍ: الابتهال، والتضرع، والدعاء، ثم قال: (والمباهلة يرجع إلى هذه، فإن المتباهِلَيْن يدعو كل واحد منهما على صاحبه(٢)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) ، فابن فارس (٤) رجح أن المباهلة بمعنى الدعاء، ثم ذكر الآية محل الدراسة.

وممن ذهب إلى أن الابتهال بمعنى المبالغة في الدعاء الزجاج –رحمه الله– حيث قال: "ومعنى الابتهال في اللغة المبالغة في الدعاءِ، وأصله الالتعان ويقال بَهَلَهُ الله أي لَعَنَهُ الله، ومعنى لَعَنَه الله باعَدَهُ الله من رحمته، يقال: ناقة بَاهل وباهلة إذا لم يكن عليها صِرَار، وقد أبهل الرجل ناقته إذا تركها بغير صرار ورجل باهل إذا لم يكن معه عصا. فتأويل الْبَهْل في اللغة المباعدة والمفارقة للشيء(٥).

وإذا نظرنا إلى كلمة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ وأصل اشتقاقها، فإننا نجدها مشتقة من البهل وهو الدعاء باللعن ويطلق على الاجتهاد في الدعاء مطلقا؛ لأن الداعي باللعن يجتهد في دعائه والمراد في الآية

---

(١) ينظر: لسان العرب١/ ٣٧٥ .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ١/ ٣١١ مادة: بهل.

(٣) سورة آل عمران ٣ الآية ٦١.

(٤) أبو الحسين الرازي: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل همذان من أئمة اللغة والأدب وصاحب «المجمل في اللغة» و«مقاييس اللغة»، كان بصيرًا بفقه مالك، ومذهبه في النحو على طريقة، توفي سنة: ٣٩٥هـ، يراجع: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/ ١١٨، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ١٢٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٢٣، وتفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٢٨١، وتفسير بحر العلوم ١/ ٢٢٠، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٤، وتأويل مشكل القرآن١/ ٥٥٦، زاد المسير في علم التفسير ١/ ٢٨٩.

المعنى الأول[١].

وفي الحقيقة أن بعض المفسرين ومنهم ابن جرير رجح أن الابتهال في هذه الآية المقصود به اللعن يقول -رحمه الله تعالى-:" الابتهال اللعن: يقال في الكلام:"ما لهُ؟ بَهَله الله" أي: لعنه الله "وما له؟ عليه بُهْلةُ الله"، يريد اللعن[٢].

فكلام الطبري يحمل على معنى المباهلة في اللغة أما معناها هنا الاجتهاد في الدعاء باللعن وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

والمباهلة والابتهال في الأصل: الملاعنة، وفعله الثلاثي "بهله بهلًا" من باب نصر لعنه، واسم الفاعل باهل، والأنثى باهلة، وبها سميت قبيلة عربية، ثم تطورت الكلمة وأطلقت على كل دعاء خيرا كان أم شرًا، وإن لم يكن لعانا، والبهلة بضم الباء وفتحها: اللعنة أي لعنة اللاعنين، وهذا المعنى هو المراد في الآية[٣].

والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا، ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانًا[٤].

قال ابن عباس عند تفسيره لقوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتضرّع في الدّعاء. وقال مقاتل: نخلص في الدعاء. وقال الكلبي: نجهد ونبالغ في الدّعاء. وقال الكسائي وأبو عبيدة: نلتعن بقول: لعن الله الكاذب منّا، يقال: عليه بهلة الله، وبهلته: أي لعنته[٥].

وقوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي نتباهل ونتلاعن، فالافتعال هنا بمعنى المفاعلة أي بأن نقول: بهلة الله على

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣/ ٢٦٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦/ ٤٧٤.

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ١/ ٥٢٤، وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٠.

(٤) ينظر: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ٢٦١، تفسير تأويلات أهل السنة(٢/ ٣٩٢.

(٥) ينظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٨٤، ومعالم التنزيل ١/ ٤٥٠، وتفسير السمعاني ١/ ٣٢٧، واللباب في علوم الكتاب ٥/ ٢٨٧.

الكاذب منا ومنكم، والمعنى: فإن جادلك أهل الكتاب في شأن عيسى من بعد أن أخبرك ربك بما هو الحق من أمره فقل لهم تَعالَوْا أي أقبلوا أيها المجادلون إلى أمر يعرف فيه الحق من الباطل، وهو أن ندعو نحن وأنتم الأبناء والنساء ثم نجتمع جميعا في مكان واحد، ثم نتضرع إلى الله ونبتهل إليه بأن يجعل لعنته على الكاذبين في دعواهم المنحرفين عن الحق في اعتقادهم. (١).

الرأي الراجح:

وبالنظر إلى القولين نجد أن كلام المفسرين لا يخرج عن المعنيين، ولكن المراد بالابتهال هو الاجتهاد في الدعاء باللعن كما رجح ذلك الإمام الشوكاني -رحمه الله- تعالى بدليل الأدلة الصحيحة الواردة في شان المباهلة ومعنى المباهلة: الدعاء على الظالم من الفريقين، فلما نزلت هذه الآية، دعا رسول - صلى الله عليه وسلم - وفد نجران إلى المباهلة(٢)، وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محتضنًا الحسينَ ، آخذًا بيد الحَسَن ، وفاطمة تمشي خلفه، وعَلِيٌّ خلفها، وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فَأَمِّنوا. فقال: أُسْقُفُّ(٣) نَجْران: يامعشر النصارى: إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلًا عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. ثمَّ قبلوا الجِزْيَةَ وانصرفوا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "والذي نفسي بيده، إنَّ العذاب قد تدلَّى على أهل نجران، ولو تلاعنوا، لمُسِخوا قِرَدَةً وخنازيرَ، ولا ضطَرَبَ عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله نجرانَ وأهلَهُ، حتى الطيرَ على الشجر، ولَمَا حالَ الحولُ على النصارى حتى هلكوا(٤)"

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٢/ ١٢٩.

(٢)ينظر: تأويل مشكل القرآن١/ ٥٥٦، والتفسير البسيط ٥/ ٣٢٠.

(٣) الأُسـقُفُّ بتشـديد الفاء، وتخفيفها: لقب ديني لأحبار النصـارى، فوق القسِّـيس، ودون المطران. ويقال: سُـقْفٌ. والجمع: أساقفة، وأساقف. تنظر مادة: «سقف» في القاموس المحيط ١/ ٨٢٠، والمصباح المنير١/ ١٠٦، والمعجم الوسيط١/ ٤٣٨.

(٤) وردت قصـة المباهلة في كتب السـنة، والتفسـير بالمأثور، بروايات وألفاظ مختلفة تتفق في مضـمونها مع ما ذكره المؤلف، ولكن لم أجد الرواية بهذا اللفظ الذي ساقه المؤلف إلا عند البغوي في تفسيره ٢/ ٤٨، وذكرها الزمخشري في الكشاف ١/ ٤٣٤. وتتفق بعض ألفاظ رواية المؤلف مع بعض الروايات الواردة في كتب السنة، وتقرب من بعضها، كما

وأخلص من هذا: أن الابتهال فيه وجهان أحدهما: أن الابتهال هو الاجتهاد في الدعاء، وإن لم يكن باللعن، ولا يقال: ابتهل في الدعاء إلا إذا كان هناك اجتهاد والثاني: أنه مأخوذ من قولهم عليه بهلة الله، أي لعنته وأصله مأخوذ مما يرجع إلى معنى اللعن؛ لأن معنى اللعن هو الإبعاد والطرد وبهله الله، أي لعنه وأبعده من رحمته، والقول الأول أولى؛ لأنه يكون قوله ثم نبتهل أي ثم نجتهد في الدعاء، ونجعل اللعنة على الكاذب وعلى القول الثاني يصير التقدير: ثم نبتهل، أي ثم نلتعن فنجعل لعنت الله على الكاذبين وهي تكرار(١).

المبحث السادس: الخلاف الوارد في "ما" في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾

قال الإمام الشوكاني –رحمه الله– "وما في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ (٢) بمعنى الذي. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾(٣) فقال "ما" بمعنى الذي. قال النحاس: التقدير في قول الخليل: الذي آتيتكموه، ثم حذفت الهاء لطول الاسم، واللام لام الابتداء، بهذا قال الأخفش، وتكون: ما، في محل رفع على الابتداء، وخبرها: من كتاب وحكمة. وقوله: ثم جاءكم وما بعده جملة معطوفة على الصلة، والعائد محذوف، أي: مصدق به. وقال المبرد والزجاج والكسائي: ما شرطية دخلت عليها لام التحقيق، كما تدخل على إن، ولتؤمنن به جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق، إذ هو بمنزلة الاستحلاف كما تقول: أخذت ميثاقك لتفعلن كذا، وهو ساد مسد الجزاء. وقال الكسائي(٤): إن الجزاء قوله: فمن تولى، وقال في الكشاف: إن اللام في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ لام

أن بعض ألفاظها بالمعنى. تنظر: روايات المباهلة في "صـحيح البخاري (حديث رقم:٤٣٨٠) كتاب: المغازي، باب: قصة أهل نجران صحيح مسلم (حديث رقم:٢٤٠٤) كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل علي.

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٨/ ٢٤٨.

(٢) سورة آل عمران ٣ الآية ٨١

(٣) السورة السابقة ٣ الآية ٨١.

(٤) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الإمام، شيخ القراءة والعربية، تلا على: ابن أبي ليلى عرضا، وعلى حمزة بن حبيب الزيات، (توفي سنة: ٢٨٩هـ). ينظر: معرفة القراء ١/ ١٠٠ – ١٠٧، وشذرات الذهب ١/ ٣٢١.

التوطئة واللام في قوله: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ ﴾جواب القسم، وما: يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط، ولتؤمنن ساد جواب القسم والشرط جميعا، وأن تكون موصولة بمعنى: للذي آتيتكموه لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ "[١].

دراسة النص :

ذكر الشوكاني –رحمه الله تعالى–: رأيين في "ما" الأول: أن تكون بمعنى الذي فتكون اسمًا موصولًا وهذا ما رجحه الشوكاني ، الثاني: أن تكون "ما" شرطية، دخلت على لام التحقيق، وهذا ما رجحه الزمخشري –رحمه الله– تعالى، وفي الحقيقة لا بد أولًا أن نعرف القراءات الواردة في الآية ليتبين لنا من أين نشأ الخلاف.

اختلف العلماء في لام «لما» فقرأ الأكثرون[٢] «لما» بفتح اللام مع التخفيف، وقرأ حمزة[٣]: مثلها، إلا أنه كسر اللام.

أما قراءة الفتح فلها وجهان: أولهما: أن تجعل «ما» اسم موصول مبتدأ، وما بعده صلة له، وخبره قوله:﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾، وعلى هذا الوجه تكون اللام في قوله: ﴿لَمَا﴾ للابتداء، وثانيهما: أن تجعل «ما» هاهنا، اسم شرط جازم في موضع نصب بـ﴿ آتَيْتُكُمْ﴾، وعلى هذا الوجه يكون فعل الشرط مكونا من جملتين: الأولى: ﴿ آتَيْتُكُمْ﴾. والثانية: ﴿ثُمَّ جاءَكُمْ ﴾وهما معا في محل جزم بما الشرطية.

وأما توجيه قراءة حمزة: فاللام هي للتعليل، كأنه قيل: اذكر وقت أن أخذ الله ميثاق النبيين، لأن إيتاءهم الكتاب والحكمة، ثم مجيء من يصدقهم يوجب عليهم الإيمان بهذا الرسول المصدق لما معهم ويوجب عليهم نصرته ، و: ما، موصولة: بآتيناكم، والعائد محذوف[٤].

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٠٨.

(٢) جمهور القراء، ما عدا حمزة الذي قرأ بكسرها كما سبق. ينظر: السبعة١/ ٢١٣، المبسوطلابن مهران١/ ١٤٦، الكشف ١/ ٣٥١.

(٣)ينظر: السبعة١/ ٢١٣، حجة القراءات ٣/ ٦٢، المبسوط لابن مهران١/ ١٤٦.

(٤)ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٢٣٩،التفسير الوسيط لطنطاوي ٢/ ١٦٥، قال أبو حيان: فأما توجيه قراءة الجمهور ففيه أربعة أقوال:

قال الواحدي[١] في توجيه قراءة الإمام حمزة: أنَّ اللاَّم في﴿لَمَا ﴾ متعلق بالأخذ، و (ما) على هذه القراءة تكون موصولةً؛ بمعنى: الذي. والراجع إلى (ما) مِن صِلَتِها محذوفٌ؛ تقديره: لِما آتيتكموه.

وأما من قرأ ﴿لَمَا ﴾بفتح اللام[٢]؛ فـ (ما) في هذه القراءة، يحتمل تأويلين: أحدهما: أن تكون موصولة. والآخر: أن تكون للجزاء[٣]. فمن قدَّرها موصولةً: كان القول فيها كما ذكرنا في قراءة حمزة،

أحدها: أن: ما، شرطية منصوبة على المفعول بالفعل بعدها، واللام قبلها موطئة لمجيء: ما، بعدها جوابا للقسم، وقد خرجها على الشرطية سيبويه والخليل وغيرهما: كالمازني، والزجاج، وأبي علي، والزمخشري، وابن عطية.

القول الثاني: أن تكون: ما، موصولة مبتدأة، وصلتها: آتيناكم، والعائد محذوف تقديره: آتيناكموه،

القول الثالث: قاله بعض أهل العلم، وهو: أن تكون: ما، موصولة مفعولة بفعل جواب القسم، التقدير: لتبلغن ما آتيناكم من كتاب وحكمة، قال: إلا أنه حذف: لتبلغن، للدلالة عليه.

والقول الرابع: أن يكون: لما، تخفيف لما، والتقدير: حين آتيناكم، ويأتي توجيه قراءة التشديد، وأما توجيه قراءة حمزة: فاللام هي للتعليل، و: ما، موصولة: بآتيناكم، والعائد محذوف ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٢٣٩، وقال الراغب قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ إذا قرئ بالفتح فلفظة ما تحتمل وجهين. أحدهما: أن تكون موصولاًوتقديره: ما أتيتكموه، والوجه الثاني: أن تكون ما للجزاء وتكون مفعولا من ﴿آتَيْتُكُمْ﴾، و ﴿جَاءَكُمْ﴾ في موضع الجزم معطوف عليه، واللام الداخلة على (ما) هي الموطئة للقسم، والتي في (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) للقسم كاللامين في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي﴾، وعلى هذا حمل سيبويه الآية، وقال: وسألته - يعني الخليل - عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ﴾ فقال ما هاهنا بمنزلة الذي، ودخلتها اللام كما دخلت على إنْ حين قلت: لئن فعلت لأفعلن. وعنى بقوله: إن ما بمنزلة الذي، أنه اسم لا حرف، كما هو حرف في قوله: ﴿لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ولم يرد أنها موصولة كالذي، وإنما لم يجعله كالذي لعدم الضمير الراجع إليه في قوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ فإن قيل: فمن جعل ما موصولاً في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وجب أن يكون ابتداء، فما خبره؟ قيل: خبره ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾، والضمير في (بِهِ) هو راجع إلى ما، ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٦٧٧.

(١) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي أبو الحسن، مُفَسِّر، نحويٌّ، لُغوي، فقيه، مِن كتبه: أسباب النزول، والتفسير الوسيط، توفي سنة ٤٦٨ . ينظر: بغية الوعاة ٢/ ١٤٥، والعبر في خبر من غبر ٢/ ٣٢٤ ..

(٢) هم باقي القراء، ما عدا حمزة الذي قرأ بكسرها كما سبق. ينظر: السبعة١/ ٢١٣، المبسوط لابن مهران١/ ١٤٦، الكشف ١/ ٣٥١.

(٣) الجزاء: هو الجواب في أسلوب الشرط؛ لأنه جزاء مترتب على حصول الشرط.

واللاّم في ﴿لَمَا﴾، لام الابتداء، وهي المتلقية لِما أُجري مجْرى القَسَم؛ لأن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾، بمنزلة القَسَم، كأنَّ المعنى: استحلفهم.

وموضع (ما) رفع بالابتداء. والخَبَرُ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ و ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ ، متعلق بِقَسَم محذوف؛ المعنى: والله لتؤمنن به. فإن قدرت (ما) للجزاء، كانت (ما) في موضع نصب بـ ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ (١).

واللام المفتوحة موطئة للقسم؛ لأن أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف وقيل: هي للابتداء التي يتلقى بها القسم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتيتكم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ومن كتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وحكمة عطف على كتاب(٢).

الراجح:

وبالنظر إلى القولين يتبين للقارئ الكريم أن الشوكاني والزمخشري-رحمهما الله تعالى- اتفقت كلمتهما في كون "ما" إما موصولة أو شرطية، وهذا ما ظهر جليًّا عند توجيه القراءتين، ولكن الخلاف الوارد بين الشوكاني والزمخشري-رحمهما الله تعالى- في اللام فقال الشوكاني-رحمه الله- هي لام الابتداء وقال الزمخشري-رحمه الله- هي لام التعليل، فعند توجيه قراءة الجمهور وهي «لما» بفتح اللام، فتكون اللام هنا للابتداء،

وفائدتها في قوله: ﴿لما﴾: هذه اللام هي بمنزلة قولك: لزيد أفضل من عمرو، ويحسن إدخالها على ما يجري مجرى المقسم عليه؛ لأن قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بمنزلة القسم والمعنى استحلفهم، وهذه اللام المتلقية للقسم، فهذا تقرير هذا الكلام(٣).

وأخلص من هذا أن ما ذهب إليه الشوكاني -رحمه الله- إلى أن اللام هي للابتداء هو الراجح لموافقته للمفسرين والنحاة وهو مذهب سيبويه(٤) .

---

(١) ينظر: التفسير البسيط ٥/ ٣٨٨.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ١/ ٥٥٠.

(٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٦.

(٤) عمرو بن عثمان بن قُنْبُر، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. صنف كتابه المسمى بـ

المبحث السابع: الخلاف الوارد في إعراب قوله: ﴿ مَقَامُ ﴾

قال الشوكاني -رحمه الله تعالى- وقوله: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [1] مقام إبراهيم بدل من آيات، قاله محمد بن يزيد المبرد، وقال في الكشاف: إنه عطف بيان، وقال الأخفش: إنه مبتدأ، وخبره: محذوف، والتقدير: منها مقام إبراهيم وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي مقام إبراهيم، وقد استشكل صاحب الكشاف بيان الآيات- وهي جمع-: بالمقام- وهو فرد- وأجاب: بأن المقام جعل وحده بمنزلة آيات، لقوة شأنه، أو: بأنه مشتمل على آيات، قال: ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن من دخله؛ لأن الاثنين نوع من الجمع[2].

دراسة النص:

ذكر الشوكاني -رحمه الله تعالى- أربعة أقوال في إعراب قوله: ﴿مَقَامُ﴾ ولم يرجح قولًا، إلا أنه تتبع الزمخشري في قوله" إنه عطف بيان" مبينًا أن الزمخشري استشكل بيان الآيات، فلا بد وأن نذكر الخلاف الوارد في إعراب قوله:﴿مَقَامُ﴾ وذكر الراجح من كلام المفسرين والنحاة.

قال أبو حيان عند قوله: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [3]: "ظاهر الآية وسياق الكلام أن هذه الجملة هي مفسّرة لبعض آيات البيت، ومُذكّرة للعرب بما كانوا عليه في الجاهلية من احترام هذا البيت، وأمن من دخله من ذوي الجرائم[4].

فإذا نظرنا إلى معنى قوله: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، ومن الآيات أيضًا: أمنُ من دخله، لأن معنى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يدل على أن الأمن فيه، فأما رفع ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فعلى أن يكون على

« الكتاب»، و«سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح، وكان أنيقا جميلا، توفي شابًّا سنة ١٧٩ هـــ. ينظر: طبقات النحويين: ٦٦ - ٧٤- ٣٦٠، وفيات الأعيان: ١/ ٤٨٧، والسير ٨/ ٣٥١، ٤٨٨، والأعلام ٥/ ٨١.

(١)سورة آل عمران ٣ الآية ٩٧.

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٤١٥.

(٣)سورة آل عمران ٣ الآية ٩٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٢٧٣.

إضمار هي مقام إبراهيم، قال النحويون: المعنى فيها مقام إبراهيم، ومعنى أمنِ من دخله: أن إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يؤمِّن سكان مكة(١).

والإمام القرطبي -رحمه الله- ذكر ثلاثة آراء ، ولكنه رجح ما ذهب إليه الأخفش(٢) أن إعراب قوله: ﴿مَقامُ﴾مبتدأ خبره محذوف هو المعروف في كلام العرب فإننا نجده يقول::وارتفع المقام على الابتداء والخبر محذوف، والتقدير منها مقام إبراهيم، قاله الأخفش. وحكي عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: ﴿مَقامُ﴾ بدل من" آيات". وفيه قول ثالث بمعنى هي مقام إبراهيم. وقول الأخفش معروف في كلام العرب(٣).

والإمام البيضاوي -رحمه الله- ذكر ثلاثة آراء ولم يرجح بينها فقال رحمه الله تعالى: " ﴿مَقامُ إِبْراهِيمَ﴾ مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام إبراهيم، أو بدل من آيات بدل البعض من الكل، وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء(٤).

وصح بيان الجماعة بالواحد؛ لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم -عليه السلام- من تأثير قدمه في حجر صلد أو لاشتماله على آيات؛ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا عطف بيان لآيات وإن كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى؛ لأنه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام لإبراهيم وأمن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتين الآيتين ويطوى ذكر غيرهما للدلالة على تكاثر الآيات(٥).

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٤٦.

(٢) علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر، نحوي، من أهل بغداد، له تصانيف، منها « شرح سيبويه » و« الأنواء » و«المهذب»، وغيرها. ينظر: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ١/ ٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٠، والأعلام للزركلي ٤/ ٢٩١.

(٣)ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٣٩.

(٤) ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٩.

(٥) ينظر: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ٢٧٥.

اختلفت عبارة المفسرين عن «الآيات البينات» فقال ابن عباس: من الآيات المقام، يريد الحجر المعروف والمشعر وغير ذلك، وهذا يدل على أن قراءته «آية» بالإفراد إنما يراد بها اسم الجنس، فرفع مَقامُ على قول الحسن(١) ومجاهد(٢) على البدل من آياتٌ، أو على خبر ابتداء تقديره هن مقام إبراهيم، وعلى قول ابن عباس ومن نحا نحوه: هو مرتفع بالابتداء وخبره محذوف مقدم تقديره: منهن مَقامُ إِبْراهِيمَ، وقال ابن عطية: والمترجح عندي أن المقام وأمن الداخل جعلا مثالًا مما في حرم الله من الآيات، وخصا بالذكر لعظمهما، وأنهما تقوم بهما الحجة على الكفار، إذ هم مدركون لهاتين الآيتين بحواسهم(٣).

ذكر صاحب الدر المصون -رحمة الله عليه- الأقوال الواردة في إعراب قوله : ﴿مَّقَامُ﴾ وأتبع كل قول بما استشكل عليه فقال: قوله: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٤) فيه أوجه، أحدها أنَّ ﴿مَّقَامُ﴾ «مقام» بدلٌ من «آيات» ، وعلى هذا يُقال: إنَّ النحويين نَصُّوا على أنه متى ذُكِرَ جمعٌ لا يُبْدَلُ منه إلا ما يُوَفِّي بالجمع ؛ لأنَّ أقلَّ الجَمْعِ الصحيح ثلاثةٌ، فإن لم يُوفِّ قالوا: وَجَبَ القطعُ عن البدلية: إمَّا إلى النصب بإضمارِ فعلٍ، وإمّا إلى الرفعِ على مبتدأٍ محذوفٍ الخبر

الوجه الثاني: أن يكونَ ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطفَ بيان، قاله الزمخشري-رحمه الله- وردَّ عليه أبو حيان -

---

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا. روى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وسمرة وابن عباس وغيرهم، لكن في روايته تدليس إذا عنعن، (توفي سنة: ١١٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٦٩، والسير ٤/ ٥٦٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٦.

(٢) مجاهد بن جبير مولى عبد الله بن السائب، من كبار التابعين، يكنى أبا الحجاج، سمع ابن عباس وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وغيرهم، أحد القراءة عن عبد الله بن عباس وعن عبد الله بن أبي ليلى، وقرأ على علي ابن أبي طالب وأبيِّ بن كعب -رضي الله عنه-، روى عنه الأعمش والليث بن أبي سُلَيمٍ وغيرهم. (توفي سنة ١٠٤هـ). ينظر: السير ٤/ ٤٤٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٨٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٢.

(٣) ينظر: تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٧٥.

(٤) سورة آل عمران ٣ الآية ٩٧.

رحمه الله-هذا مِنْ جهةِ تَخَالُفِهما تَعْرِيفًا وتنكيرًا فقال: «قوله مخالف لإجماع البصريين والكوفيين فلا يُلتفت إليه، وحكمُ عطفِ البيان عند الكوفيين حكمُ النعتِ فَيُتْبِعون النكرةَ النكرةَ والمعرفةَ المعرفةَ[١] .

الوجه الثالث: قال المبرد: ﴿مَّقَامُ﴾ مصدر، فلم يُجْمَع، كما قال: ﴿خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ﴾ [٢]والمراد: مقامات إبراهيم، وهي ما أقامه إبراهيم من أمور الحج، وأعمال المناسك، ولا شك أنها كثيرة، وعلى هذا، فالمراد بالآيات: شعائر الحج، كما قال تعالى: {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله﴾[٣]

الوجه الرابع: أن قوله: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ خبر مبتدأ مضمر، تقديره: أحدها، أي: أحد تلك الآيات البينات مقام إبراهيم، أو مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: منها، أي: من الآيات البيِّنات «مقام إبراهيم» .

وهناك إشكال وارد على قول مَنْ جعلَه خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أي: هي مقام إبراهيم، فكيف يُخْبِر عن الجمع باثنين؟

وفيه أجوبة:

أحدها: أن أقلَّ الجمع اثنان - كما ذهب إليه بعضهم.

الثاني: أن ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وإن كان مفرداً لفظًا إلا أنه يشتمل على آياتٍ كثيرةٍ،

وقال بعضهم: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ لا تعلُّقَ له بقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ، فكأنه - تعالى - قال: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ومع ذلك فهو ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ} ومَقَرُّه، والموضع الذي اختاره، وعَبَدَ الله فيه؛ لأن كل ذلك من الخِلال التي بها تَشَرَّف وتَعَظَّم [٤].

والجمهور على جمع الآيات، وقرئ: «آيةٌ بينةٌ» على التوحيد[٥]، على أنه يراد ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، فأما

---

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٣/ ٣١٩، واللباب في علوم الكتاب (٥/ ٤٠٥)

(٢) سورة البقرة ٢ الآية ٧.

(٣) سورة الحج ٢٢ الآية ٣٢ .

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٤٠٨.

(٥) رويت عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في معاني الفراء ١/ ٢٢٧، ومعاني الزجاج ١/ ٤٤٦، وتفسير الطبري ٤/ ١٠، وأضافها في الكشاف ١/ ٢٠٤ ومثله في البحر ٨/ ٣ إليه وإلى أُبي -رضي الله عنه-، ومجاهد، وأبي جعفر المدني

مَن قرأ: آياتٌ قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الآيات: مقام إبراهيم، وأمنُ مَنْ دخله، فعلى هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ﴾ (١)، قال المفسرون: الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمته، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخرابه، إلى غير ذلك(٢).

وقد رجح ابن جرير(٣) أن قوله- تعالى-﴿ مَقامُ إِبْراهِيمَ﴾ هو بعض الآيات البينات التي في البيت الحرام فقال: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: الآيات البينات منهن مقام إبراهيم، فيكون الكلام مرادا فيه منهن فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها. فإن قال قائل: فهذا المقام من الآيات البينات فما سائر الآيات التي من أجلها قيل ﴿آياتٌ بَيِّناتٌ﴾ قيل: منهن المقام، ومنهن الحجر، ومنهن الحطيم(٤)»

فعلى قراءة الجمهور أعربوا ﴿ مَقامُ إِبْراهِيمَ﴾ بدلًا، وهو بدل كل من كل، من قوله: آيات، وأعربوه خبر مبتدأ محذوف، أي هن مقام إبراهيم، وعلى ما أعربوه فكيف يبدل المفرد من الجمع، أو يخبر به عن الجمع؟ وأجيب بوجهين: أحدهما: أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥) . والثاني: اشتماله على آيات؛ لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء لآية لإبراهيم خاصة، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين آية

في رواية قتيبة.

(١) سورة الأنبياء ٢١ الآية ٧٨.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ١/ ٣٠٧.

(٣)ينظر: تفسير جامع البيان ٦/ ٢٨.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٢/ ١٨٨.

(٥) سورة النحل ١٦ الآية ١٢٠.

قال الزمخشري: ويجوز أن يراد﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وأمن من دخله؛ لأن الآيتين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة.

وكلام الزمخشري: أن مقام إبراهيم وأمن الداخل تفسير للآيات وهي جمع، ولكن لم يذكر أمن الداخل في الآية تفسيرا صناعيا، إنما جاء﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا جملة من شرط وجزاء، أو مبتدأ وخبر، لا على سبيل أن يكون اسما مفردا يعطف على قوله: مقام إبراهيم، فيكون ذلك تفسيرا صناعيًّا. بل لم يأت بعد قوله: آيات بينات سوى مفرد وهو: مقام إبراهيم فقال. فإن قلت: كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان وقوله: ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة: إما ابتدائية، وإما شرطية؟ قلت: أجزت ذلك من حيث المعنى، لأن قوله: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ دل على أمن داخله، فكأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن داخله(١).

الراجح:

بالنظر إلى الأقوال سالفة الذكر يتبين للقارئ الكريم أن ما ذهب إليه الإمام الشوكاني -رحمه الله- من كون قوله: ﴿ مَقَامُ ﴾ بدلًا هو هو نفس ما ذهب إليه الزمخشري-رحمه الله تعالى- في إعراب قوله: ﴿ مَقَامُ ﴾ عطف بيان فكل ما جاز أن يعرب عطف بيان جاز أن يعرب بدلًا، فكلمة الشوكاني، والزمخشري -رحمهما الله- اتفقت، وإن كان المصطلح مختلفًا فمؤداه واحدٌ، فكلاهما من التوابع، ومن قرأ قراءة الجمهور بالجمع أعرب مقام إبراهيم بدلًا، وهو بدل كل من كل، من قوله: آيات، قال صاحب اللباب: وتخريج ﴿مَقَامُ﴾- على البدلية أو على عطف البيان، متفق عليه؛ لأن البصريين يُبْدِلون من النكرة مطلقًا، والكوفيون لا يبدلون منها إلا بشرط وَصْفها، وقد وُصِفَتْ(٢).

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٣/ ٢٧١.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٤٠٨.

المبحث الثامن: الاختلاف في الاحتجاج بقوله: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [١] جملة مستأنفة، مبينة لوجه الإملاء للكافرين، وقد احتج الجمهور بهذه الآية على بطلان ما تقوله المعتزلة: لأنه سبحانه أخبر بأنه يطيل أعمار الكفار، ويجعل عيشهم رغدا ليزدادوا إثما. قال أبو حاتم: وسمعت الأخفش يذكر كسر أنما نملي الأولى وفتح الثانية، ويحتج بذلك لأهل القدر؛ لأنه منهم، ويجعله على هذا التقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا إنما نملي لهم خير لأنفسهم. وقال في الكشاف: إن ازدياد الإثم علة، وما كل علة بعرض، ألا ترك تقول: قعدت عن الغزو للعجز والفاقة، وخرجت من البلد لمخافة الشر، وليس شيء يعرض لك، وإنما هي علل وأسباب[٢].

دراسة النص:

ذكر الشوكاني -رحمه الله- أن جمهور أهل السنة احتجوا بهذه الآية على بطلان مذهب المعتزلة الذي ذهب إليه الأخفش صراحة والزمخشري تعريضًا[٣] وقالوا إن الله -سبحانه وتعالى- يفعل ما يشاء في العبد وإن لم يكن للعبد فيه مصلحة، فأخبر سبحانه أنه إنما أملى لهم ليزدادوا إثمًا، ولم يمل لهم لما فيه خير وصلاح، بداية لا بد وأن أبين أولًا اعتراض المعتزلة والرد عليهم من خلال ذكر أقوالهم في هذه المسألة، وذكر الاعتراض عليها.

قالت المعتزلة: لا حجة لهذا المستدل بهذه الآية، بل الحجة منها؛ لأنها وردت مورد الذم للكفار

---

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ١٧٨.

(٢)ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٦٢.

(٣) وهو قولهم بوجوب الأصلح، والآية دليل على إثبات الحكمة في أفعال الله، قال الزمخشري: ولا يحسبنّ الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان. وقوله: ﴿ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ اعتراض بين الفعل ومعموله. ومعناه: أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدّة وترك المعاجلة بالعقوبة. فإن قلت: فما معنى قوله وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ على هذه القراءة؟ قلت: معناه: ولا تحسبوا إن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب، والواو للحال، كأنه قيل: ليزدادوا إثمًا معدًا لهم عذاب مهين. ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٤٤٤.

والوعيد، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لا يذمهم ولا يعذبهم إلا على فعلهم، وحذرهم الاغترار بالإملاء. ولم يكن الإملاء لخير استحقوه عند الله، وإنما أملى لهم ليرجعوا أو يتوبوا في مدة الإملاء[١]، فأما قوله: ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ فإن هذه اللام للعاقبة.

والجواب عليهم: لا ننكر أنها وردت مورد الذم والوعيد، ولكن لا يدل أنهم خلقوا وأفعالهم في الإثم، بل أفعالهم خلق لله وكسب لهم على ما مضى، وأما قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ فلا ننكر أنه أمرهم بالتوبة، ولكن لو قدر لهم التوبة وتفضل عليهم بالتوفيق لها لتابوا، وأما قوله: إن اللام في قوله: ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ أنها لام العاقبة كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنًا﴾ [٢] فغير صحيح؛ لأن الله قد علم أنهم لا يتوبون، وإنما علم أنهم يكفرون وليس كذلك التقاط آل فرعون لموسى – عليه السلام –، فإنهم لم يعلموا أنه يكون لهم عدوًا وحزنًا، وإنما قدروا في أنفسهم التقاطه ليكون لهم قرة أعينهم وقد علم الله أنه لا يكون لهم إلا عدوًا وحزنًا.

ويدل على صحة ما ذهب إليه أهل السنة قوله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٣] ، وهذه لام كي تقديرها: إنما يريد الله تعذيبهم، وفي الآية تقديم وتقديرها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وهذا قول أكثر المفسرين[٤].

ويدل على صحة مذهب أهل السنة أيضًا ما أخبر الله عن موسى صلى الله عليه وسلم أن قال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى

(١) هذا التصريح بالمخالفة من المعتزلة يدل على انحرافه عن الأخذ من صريح القرآن فإن الآية ظاهرة في التعليل بأن الإملاء إنما هو ليزدادوا إثما، ومع ذلك حرفها المخالف بأن الإملاء إنما هو ليرجعوا ويتوبوا.

(٢) سورة القصص ٢٨ الآية ٨.

(٣) سورة التوبة ٩ الآية ٥٥ .

(٤) ذكر هذا القول الطبري عن قتادة وابن عباس – رضي الله عنهما – وذكره القرطبي عن النحاس وقال: هو قول أكثر أهل العربية. ينظر: جامع البيان ١٠/ ١٥٣، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٦٤.

أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ (١) فأخبر الله عن موسى أنه قال إن الله ما آتاهم الزينة والأموال إلا ليضلوا عن سبيله، وهذه لام كي، وموسى أعلم بما يجوز على الله من القدرية (٢).

ويدل على صحة مذهب أهل السنة أيضًا قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِين نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (٣) وتأويلها، بل لا يشعرون أن الذي أعطيناهم من الأموال والبنين هو شر لهم(٤) كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ ، ومثلها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ (٥).

قال الزجاج: معني ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾ نؤَخرهم - وهؤُلاء قوم أعلم الله النبي - صلى الله عليه وسلم - أنهم لا يؤْمنون أبدًا، وأن بقاءَهم يزيدهم كفرًا وإثمًا(٦).

ويعني بـ«الإملاء»، هنا الإطالة في العمر، والإنساء في الأجل، ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٧)أي: حينًا طويلًا ومنه قيل:"عشتَ طويلًا وتملَّيت حبيبًا"، وتأويل قوله: ﴿إنما نُملي لهم ليزدادوا إثمًا﴾، إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثمًا، يقول: يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر"ولهم عذاب مهين"، يقول: ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة (٨).

---

(١) سورة يونس ١٠ الآية ٨٩.

(٢)روى ابن جرير هذا عن ابن عباس وعكرمة ومحمد بن كعب وأبي العالية والربيع بن أنس. ينظر: تفسير جامع البيان ١١/ ١٦١.

(٣)سورة المؤمنون ٢٣ الآيتان ٥٥،٥٦.

(٤) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/ ٤٧٦.

(٥)سورة الزمر ٣٩ الآية ٤٩.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٩١.

(٧) سورة مريم ١٩ الآية ٤٦.

(٨) ينظر: تفسير جامع البيان ٧/ ٤٢١.

وجهت المعتزلة الآية إلى وجهين:

أحدهما: على التقديم والتأخير بمعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا إنما نملي خير لأنفسهم، وذلك فاسد لوجهين:

الوجه الأول: لو كان جعل الخير شرًّا والشر خيرًا بالتأويل، وصرف الآية عن سياقها ونظمها - لجاز ذلك في كل وعد ووعيد، وأمر ونهي، وتحليل وتحريم؛ فيصير كل أمور الدنيا مقلوبةً.

الوجه الثاني: أنه لو كان كذلك لكان يجب أن يعجب به رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: قالوا ذلك خبر عما يئول الأمر إليه؛ كقوله - تعالى -: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنًا﴾ (١) ، وهم لا لذلك التقطوا، والذي قالوه إنما هو تنبيه وإيقاظ لقوم لا يذكرون عواقب الأمور، والأصل في ذلك أن الله - تعالى - عالم بمن يؤثر عداوته ويعاند آياته، فإرادته ألا يكون منه ذلك حاجة إليه في موالاته، أو إيجاب غلبة عليه في بعض ما يريد، جل الله عن هذا الوصف(٢).

قال الإمام الرازي -رحمه الله تعالى-: احتج أصحابنا بهذه الآية في مسألة القضاء والقدر من وجوه:

الأول: أن هذا الإملاء عبارة عن إطالة المدة، وهي لا شك أنها من فعل الله تعالى، والآية نص في بيان أن هذا الإملاء ليس بخير، وهذا يدل على أنه سبحانه فاعل الخير والشر.

الثاني: أنه تعالى نص على أن المقصود من هذا الإملاء هو أن يزدادوا الإثم والبغي والعدوان، وذلك يدل على أن الكفر والمعاصي بإرادة الله، ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله:

ولهم عذاب مهين أي إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وليكون لهم عذاب مهين.

الثالث: أنه تعالى أخبر عنهم أنهم لا خير لهم في هذا الإملاء، أنهم لا يحصلون إلا على ازدياد البغي والطغيان، والإتيان بخلاف مخبر الله تعالى مع بقاء ذلك الخير جمع بين النقيضين وهو محال، وإذا لم يكونوا قادرين مع ذلك الإملاء على الخير والطاعة مع أنهم مكلفون بذلك لزم في نفسه بطلان مذهب

---

(١) سورة القصص ٢٨ الآية ٨.

(٢)ينظر: تفسير تأويلات أهل السنة ٢/ ٥٣٩.

القوم[1].

(١) قالت المعتزلة: أما الوجه الأول: فليس المراد من هذه الآية أن هذا الإملاء ليس بخير وأما الوجه الثاني: فقد قالوا: ليس المراد من الآية أن الغرض من الإملاء إقدامهم على الكفر والفسق بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] بل الآية تحتمل وجوها من التأويل: أحدها: أن تحمل هذه اللام على لام العاقبة كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وهم ما فعلوا ذلك لطلب الإضلال، بل لطلب الاهتداء، ويقال: ما كانت موعظتي لك إلا لزيادة في تماديك في الفسق إذا كانت عاقبة الموعظة ذلك، وثانيها: أن يكون الكلام على التقديم والتأخير، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثما إنما نملي لهم خير لأنفسهم، وثالثها: أنه تعالى لما أمهلهم مع علمه بأنهم لا يزدادون عند هذا الإمهال إلا تماديا في الغي والطغيان، أشبه هذا حال من فعل الإملاء لهذا الغرض والمشابهة أحد أسباب حسن المجاز. ورابعها: وهو السؤال الذي ذكرته للقوم وهو أن اللام في قوله: ليزدادوا إثما غير محمول على الغرض بإجماع الأمة، أما على قول أهل السنة فلأنهم يحيلون تعليل أفعال الله بالأغراض، وأما على قولنا فلأنا لا نقول بأن فعل الله معلل بغرض التعب والإيلام، بل عندنا أنه تعالى لم يفعل فعلا إلا لغرض الإحسان، وإذا كان كذلك فقد حصل الإجماع على أن هذه اللام غير محمولة على التعليل والغرض، وعند هذا يسقط ما ذكرتم من الاستدلال، ثم بعد هذا: قول القائل: ما المراد من هذه اللام غير ملتفت إليه، لأن المستدل إنما بنى استدلاله على أن هذه اللام للتعليل، فإذا بطل ذلك سقط استدلاله.

وأما الوجه الثالث: وهو الإخبار والعلم فهو معارض بأن هذا لو منع العبد من الفعل لمنع الله منه، ويلزم أن يكون الله موجبا لا مختارا، وهو بالإجماع باطل.

والجواب عن الأول: أن قوله: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير معناه نفي الخيرية في نفس الأمر، وليس معناه أنه ليس خيرا من شيء آخر، لأن بناء المبالغة لا يجوز ذكره إلا عند ذكر الراجح والمرجوح، فلما لم يذكر الله هاهنا إلا أحد الأمرين عرفنا أنه لنفي الخيرية، لا لنفي كونه خيرا من شيء آخر.

وأما السؤال الثاني: وهو تمسكهم بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤].

فجوابه: أن الآية التي تمسكنا بها خاص، والآية التي ذكرتموها عام، والخاص مقدم على العام.

وأما السؤال الثالث: وهو حمل اللام على لام العاقبة فهو عدول عن الظاهر، وأيضا فإن البرهان العقلي يبطله لأنه تعالى لما علم أنهم لا بد وأن يصيروا موصوفين بازدياد الغي والطغيان، كان ذلك واجب الحصول لأن حصول معلوم الله

الراجح:

أجمع أهل السنة الجماعة على أن الله تعالى يفعل بعباده ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد كان ذلك أصلح لهم أولم يكن؛ لأن الخلق خلقه والأمر أمره ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[١] ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن مذهب أهل السنة والجماعة هو المعتمد؛ **للأسباب الآتية:**

أولًا: القول بالأصلح يوجب نهاية القدرة وتنفيذ مافي الخزائن وتعجيز الله تعالى عن ذلك لأنه إذا فعل بهم غاية الصلاح فليس وراء الغاية شئ فلو أراد أن يزيدهم على ذلك الصلاح صلاحا آخر لم يقدر عليه ولم يجد بعد الذي أعطاهم ما يعطيهم مما يصلح لهم تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ثانيًا: الآية حجة لأهل السنة على المعتزلة في مسألتي الأصلح وإرادة المعاصى وهي نص في بطلان

واجب، وعدم حصــوله محال، وإرادة المحال محال، فيمتنع أن يريد منهم الإيمان، ويجب أن يريد منهم ازدياد الغي والطغيان، وحينئذ ثبت أن المقصود هو التعليل وأنه لا يجوز المصير إلى لام العاقبة.

وأما السؤال الرابع: وهو التقديم والتأخير.

فالجواب عنه من ثلاثة أوجه: أحدها: أن التقديم والتأخير ترك للظاهر. وثانيها: قال الواحدي رحمه الله: هذا إنما يحسن لو جازت قراءة أنما نملي لهم خير لأنفســهم بكســر «إنما» وقراءة إنما نملي لهم ليزدادوا إثما بالفتح. ولم توجد هذه القراءة البتة. وثالثها: أنا بينا بالبرهان القاطع العقلي أنه يجب أن يكون مراد الله من هذا الإملاء حصــول الطغيان لا حصول الإيمان، فالقول بالتقديم والتأخير ترك للظاهر والتزام لما هو على خلاف البرهان القاطع.

وأما السؤال الخامس: وهو قوله: هذه اللام لا يمكن حملها على التعليل.

فجوابه أن عندنا يمتنع تعليل أفعال الله لغرض يصدر من العباد، فأما أن يفعل تعالى فعلا ليحصل منه شيء آخر فهذا غير ممتنع، وأيضــا قوله: إنما نملي لهم ليزدادوا إثما تنصــيص على أنه ليس المقصــود من هذا الإملاء إيصــال الخير لهم والإحسان إليهم، والقوم لا يقولون بذلك، فتصير الآية حجة عليهم من هذا الوجه.

وأما السؤال السادس: وهو المعارضة بفعل الله تعالى.

فالجواب: أن تأثير قدرة الله في إيجاد المحدثات متقدم على تعلق علمه بعدمه، فلم يمكن أن يكون العلم مانعا عن القدرة. أما في حق العبد فتأثير قدرته في إيجاد الفعل متأخر عن تعلق علم الله بعدمه، فصــلح أن يكون هذا العلم مانعا للعبد عن الفعل، فهذا تمام المناظرة في هذه الآية. ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٩/ ٤٣٩.

(١) سورة الأنبياء ٢١ الآية:٢٣.

مذهبهم ، لأنه أخبر أنه يطيل أعمارهم ليزدادوا الكفر بعمل المعاصي، وتوالي أمثاله على القلب.

ثالثًا: الآية مخصوصة أريد بها قوم بأعيانهم علم الله تعالى منهم أنهم لا يسلمون أبداً، وليست في كل كافر إذ قد يكون الإملاء له مما يدخله في الإيمان، فيكون أحسن له وهو الصحيح في المعاني.

الخاتمــة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

أولًا: ليس للأحرف المقطعة في اللغة العربية معان مستقلة، ولم يرد من طريق صحيح عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، بيان للمراد منها، بيد أنه قد أثر عن السلف في معاني هذه الحروف آراء متعددة.

ثانيًا: في الحقيقة أن كل الآراء الواردة في إعراب قوله ﴿قائمًا﴾ لا تسلم من اعتراض، ولكن الراجح من وجهة نظري هو ما ذهب إليه الإمام الشوكاني –رحمه الله تعالى– أن قوله"قائمًا" حال من الاسم الشريف، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين، وهذا ما قرره الرازي، وأبو حيان رحمهما الله جميعًا.

ثالثًا: بعد ذكر أقوال المفسرين والنحاة في اشتقاق "المسيح، وعيسى تبين لي أن ما ذهب إليه الإمام الشوكاني إلى أن المسيح مشتقٌ وليس معربًا هذا هو الراجح، أما لفظة عيسى فاتفقت فيه كلمة الزمخشري والشوكاني في أنه اسمٌ أعجميٌّ بدليل منعه من الصرف للعلمية والعجمة.

رابعًا: المقصود بالوفاة في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: قابضك من الأرض ورافعك إلى السماء بجسدك وروحك لتستوفى حظك من الحياة هناك، وهذا ما ذهب إليه الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى ورجحه جمهور العلماء من المفسرين.

خامسًا: المقصود بالمباهلة في قوله ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ هي الاجتهاد في الدعاء باللعن كما رجح ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى بدليل الأدلة الصحيحة الواردة في شان المباهلة .

سادسًا: اتفقت كلمة الشوكاني والزمخشري –رحمهما الله تعالى– في كون "ما" في قوله ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ إما موصولة أو شرطية، وهذا ما ظهر جليًّا عند توجيه القراءتين، ولكن الخلاف الوارد بين الشوكاني والزمخشري في اللام فقال الشوكاني هي لام الابتداء وقال الزمخشري هي لام التعليل، فعند توجيه قراءة الجمهور وهي «لما» بفتح اللام، فتكون اللام هنا للابتداء، وهذا هو الراجح لموافقته للمفسرين والنحاة وهو مذهب سيبويه واختيار الشوكاني رحمه الله.

سابعًا: الراجح في إعراب قوله:﴿مَقَامُ﴾ بدلًا، أو عطف بيان، وهذا ما اتفقت فيه كلمة الشوكاني

والزمخشري –رحمهما الله تعالى–

ثامنًا: أجمع أهل السنة الجماعة على أن الله تعالى يفعل بعباده ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد كان ذلك أصلح لهم أولم يكن؛ لأن الخلق خلقه والأمر أمره ، وهذا هو المذهب المعتمد كما رجحه الشوكاني –رحمه الله تعالى–.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

المصادر والمراجع

١. إعراب القرآن وبيانه المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

٢. الأعلام للزركلي المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٦. البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٧. البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.

١٢. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول . المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

١٣. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣.

١٤. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. المؤلف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٥. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٧. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٩. التَّفْسِيرُ البَسِيْط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٢٠. تفسير القرآن العزيز المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢١. تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٢. تفسير القرآن الكريم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان.

٢٣. تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩ هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٤. تفسير الماوردي = النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم

٢٥. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٧م.

٢٧. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

٢٨. تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٩. جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

٣١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر:

دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٢. حاشية الجمل على الجلالين

٣٣. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر المؤلف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ) حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٣٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.

٣٥. ذيل كشف الظنون المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧ هـ) الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: ١٩٤١م.

٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٧. زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٨. سير أعلام النبلاء ط الرسالة معجم البلدان المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٣٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر

الأرناؤوط

٤٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط.

٤١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٢. غرائب التفسير وعجائب التأويل المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

٤٣. فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٤٤. الكامل في التاريخ المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٥. كتاب تفسير القرآن المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ) قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ متفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

٤٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٤٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني

المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: ١٩٤١م.

٤٨. لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٩. اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م

٥٠. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٥١. المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٢. مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٣. المخطوطات والمطبوعات إعداد: علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط الناشر: دار العقبة، قيصري – تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٥٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٥٥. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت

٥٦. معجم الشعراء العرب المؤلف : للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى : ٣٨٤ هـ) بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٥٧. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» المؤلف: عادل نويهض قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٨. معجم المؤلفين المؤلف: عمر رضا كحالة الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥٩. معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)» إعداد: علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط الناشر: دار العقبة، قيصري – تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٠. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٦١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٦٢. مقال: التعقبات العلمية: دلالاتها - آفاقها - آثارها د. علي حافظ السيد سليمان أ. د. علي حافظ السيد سليمان: أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر بأسيوط، وحاليًا أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة المجمعة بالمملكة العربية

السعودية.

٦٣. منهج الإمام الشوكاني في العقيدة للدكتور عبد الله نومْسُوك دار القلم ولكتاب، الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى:١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٦٤. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦٥. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية المؤلف: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب الطبعة: الأولى.

٦٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٦٧. هدية العارفين المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

٦٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١٠٧
مقدمــة ١١١
التمهيد ١١٥
الفصل الأول: التعريف بالإمامين ١١٧
المبحث الأول: التعريف بالإمام الشوكاني-رحمه الله- ١١٧
المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ومولده. ١١٧
المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم. ١١٧
المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه. ١١٩
المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه. ١٢٠
المطلب الخامس: مؤلفاته، ووفاته. ١٢١
المبحث الثاني: التعريف بالإمام الزمخشري-رحمه الله تعالى- ١٢٣
المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه، وحياته: ١٢٣
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه: ١٢٣
المطلب الثالث: مؤلفاته. ١٢٥
المطلب الربع: أقوال العلماء فيه: ١٢٦
الفصل الثاني: تعقبات الإمام الشوكاني على الإمام الزمخشري في سورة آل عمران ١٢٩
المبحث الأول: المراد بالحروف المقطعة. ١٢٩
المبحث الثاني: الخلاف في إعراب قوله: ﴿ قَائِمًا ﴾ ١٣٤
المبحث الثالث: الخلاف في اشتقاق المسيح عيسى ١٣٩
المبحث الرابع: الخلاف الوارد في المقصود بالوفاة ١٤٥
المبحث الخامس :المقصود من الابتهال في قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ١٥٠

المبحث السادس: الخلاف الوارد في "ما" في قوله: ﴿ لَمَا آتَيْتُكُمْ ﴾ ١٥٤
المبحث السابع: الخلاف الوارد في إعراب قوله: ﴿ مَقَامُ ﴾ ١٥٨
المبحث الثامن: الاختلاف في الاحتجاج بقوله: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ ١٦٤
الخاتمة ١٧١
المصادر والمراجع ١٧٣
فهرس الموضوعات ١٨٢